

العدد ٩٩٠ - الاثنين ٢٤ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ - الموافق ٢٠١٨/١٢/٣١م



فصل الشتاء.. كيف يستغله المربي؟



الوسطية الإسلامية

لجنة الكلمة الطيبة بجمعية إحياء التراث الإسلامي تعقد ندوة:

كيف نحقق الأمن؟



الأمانة في معانيها العظيمة

قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فقالوا: يا محمد، دعنا نكون في هذه الأرض نُصلحها، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر (النصف) من كل زرع ونخل ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم في كل عام فيخرصها عليهم (يقدر حجم الزرع)، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ في عام شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: «يا أعداء الله، تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عُدَّتكُم، من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل بينكم»، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض».

هذه المعاني العظيمة في الأمانة والإخلاص هي المرتكزات الحقيقية التي قام عليها الدين الإسلامي، وانتشر في العالم كله، لكن -مع الأسف- فإن المجتمع الإسلامي لا يكاد يخلو من بعض السلوكيات التي حذر منها الشرع الحنيف، مثل: الغش، والاحتكار، والرشوة، وهي نذير محق للبركة وتخبط في المعاملات.

وفي حديث الأمانة الشهير، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء، (ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله) فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: «إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

يعتقد بعض الناس أن هذا الانحراف الخطير في تعاملاتنا اليومية لا دخل له بواقعنا المعاش ولا بأسباب الهزائم التي نعاني منها، ولكن رسول الله ﷺ يوضح الارتباط الواضح بين الأمرين قوله: «إذا تبايعتم بالعينة (نوع من أنواع البيوع المحرمة) وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».



المحليات

صندوق إعانة المرضى الكويتي بالسودان يستلم شيكاً من السفير الكويتي



سلم سعادة سفير دولة الكويت لدى السودان، بسام محمد القبندي- شيكاً لصندوق إعانة المرضى الكويتي بالسودان، وتم تسليم الشيك بمقر السفارة لمدير الصندوق الدكتور كمال الدين يعقوب، ويدير صندوق إعانة المرضى الذي بدأ نشاطه في السودان عام ١٩٨٥ نحو ٢٥ مؤسسة طبية منها ٨ مستشفيات ومراكز متخصصة، و١٧ مركزا للرعاية الصحية الأساسية بمختلف أنحاء السودان.



تسلمها وزير الصحة د.باعوم الذي أشاد بدعم الكويت الطبي والاغاثي

٢٤ جهازا لغسيل الكلى وحضانات مخبرية وأدوية من جمعية صندوق إعانة المرضى لوزارة الصحة اليمنية

في إطار الجهود الإغاثية التي تقدمها جمعية صندوق إعانة المرضى داخليا وخارجيا واستكمالا للحملات الإغاثية التي يقدمها لليمن سلمت الجمعية في العاصمة المؤقتة عدن وزارة الصحة العامة والسكان اليمنية شحنة من أجهزة الغسيل الكلوي والمعدات الطبية الأخرى مقدمة من دولة الكويت.

وقال جمال الفوزان -مدير صندوق إعانة المرضى في تصريح صحفي-: إن الشحنة التي قدمها صندوق إعانة المرضى في البرنامج الوطني للإمداد الدوائي تأتي ضمن حملات الإغاثة التي تقدمها الكويت للأشقاء في اليمن، وقد اشتملت على ٢٤ جهازا للغسيل الكلوي و١٥ سريرا و٤ حاضنات مختبرية وسبعة كراتين ضمادات مختلفة وعددا من الكراسي المتحركة، وكمية كبيرة من الأدوية المتنوعة.

وبين الفوزان أن الحملة لاقت إشادة كبيرة من المسؤولين اليمنيين، وكان في مقدمتهم وزير الصحة العامة والسكان الدكتور ناصر باعوم الذي أشاد بالدعم السخي والمتواصل من الكويت للقطاع الصحي اليمني وتزويده بالمستلزمات والأدوية في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، مشيرا إلى أن عشرة من أجهزة الغسيل التي استلمتها الوزارة تم إرسالها إلى محافظة المحويت، ووعد الفوزان بالمزيد من الدعم الإغاثي الطبي للاشقاء في اليمن حتى تنتهي محنتهم، ويعود الأمن والأمان لبلادهم.



تقيمها إحياء التراث للجاليات الأجنبية من النساء في محافظتي الأحمدي ومبارك الكبير..

دروس تعليمية في اللغة العربية وتلاوة القرآن ومباديء الإسلام لمختلف الجنسيات

ينظم مركز الهداية للتعريف بالإسلام في محافظتي الأحمدي ومبارك الكبير التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي العديد من الأنشطة والفعاليات للجاليات غير العربية من النساء، ومن ذلك تنظيم درس تعليمي أسبوعي مساء كل يوم أربعاء من الساعة (٥ - ٧) مساء. فضلا عن إقامة دروس في تعليم اللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم لمختلف الجنسيات من النساء، وذلك بإشراف داعية متخصصة، وسيكون التسجيل في مقر اللجنة النسائية الكائن في محافظة مبارك الكبير - القصور - ق (١) - ش (٤٦) - م (٢٣).

والجدير بالذكر أن مركز الهداية للتعريف بالإسلام يقوم بتنظيم مثل هذه الأنشطة بهدف استغلال وجود الكثير من الجاليات الأجنبية، وحاجة هؤلاء إلى من يرشدهم لدين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بتوفير دعاة على دراية بلغة كل جالية ليسهل التواصل وتبليغ دين الله.

كما يقوم المركز أيضا بطرح مشاريع عديدة للدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بهدف التعريف بالإسلام وتعليم المسلمين التوحيد، ومتابعة المهتدين الجدد، وإقامة الدروس الشرعية، وتوزيع المصاحف والكتب، فضلا عن تنظيم رحلات العمرة للجاليات.

والمركز إذ يقوم بمثل هذه الأنشطة فإنه يأمل التفاعل والاهتمام ممن لديهم خدم يريد دعوتهم للإسلام وتعليمهم دين الله -تبارك وتعالى.

يد الخير الكويتية تواصل دعم الدول المنكوبة بالحروب

تنقلت يد الخير الكويتية الأسبوع الفائت لتقدم العطاء كما اعتادت عليه؛ فتوزعت تقديماتها على أماكن عدة في الدول العربية وحول العالم، وكان هناك تركيز أكبر على قضيتي اللاجئين السوريين والشعب اليمني؛ فأطلقت الكويت مبادرات إنسانية بارزة في هاتين المسألتين.

في بيروت، أكد سفير الكويت لدى لبنان عبدالعال القناعي أهمية مبادرة سمو أمير البلاد، بتعليم اللاجئين السوريين في الدول المضيفة لهم، معربا عن الاعتزاز بهذه المبادرة الإنسانية.

وقال القناعي في تصريح صحافي لتسليط الضوء على (مشروع تعليم اللاجئين السوريين في لبنان): إن رؤية صاحب السمو استشفت الأبعاد الخطيرة للأمية، وتعاملت معها، وأدركت ضرورة المبادرة؛ فأطلقتها ولامست المستجدات؛ فغيرتها إلى واقع جديد تصان فيه كرامة الانسان وتحصنه تعليما.

تعليم السوريين

من جهتها، أعلنت نائبة المدير العام للبرامج المساندة في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الدكتورة أماني البداح إتمام المؤسسة التزامها بمنح ٥٠ مليون دولار، خصصت لمشروع تعليم اللاجئين السوريين في الأردن ولبنان.

وفي الرياض قال نائب رئيس مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر الكويتي أنور الحساوي: إن «الجمعية خصصت بعد المحادثات اليمنية في السويد، دعما إضافيا بمبلغ ٥٠٠ ألف دولار، بوصفها مساعدات إغاثية لليمن».



وفي القاهرة أكد نائب مساعد وزير الخارجية رئيس مكتب حقوق الإنسان الكويتي المستشار طلال المطيري، حرص الكويت على دعم منظومة حقوق الانسان وتعزيزها.

وفي فيينا، قال سفير الكويت لدى النمسا صادق معرفي: إن الكويت حريصة على دعم العمل الإنساني والخيري في المحافل الدولية.

أما في روما؛ فقد ثمنت رابطة نساء الأمم المتحدة مساهمات المرأة الكويتية السخية، وجهودها في العمل الخيري والتطوعي النسائي بما يتسق مع دور الكويت الريادي في العمل الإنساني.

(١)

لجنة الكلمة الطيبة
بجمعية إحياء التراث الإسلامي تعقد ندوة:

كيف نحقق الأمن؟

إعداد: المحرر المحلي

أقامت لجنة الكلمة الطيبة بجمعية إحياء التراث الإسلامي الاثنين ١٢ نوفمبر ٢٠١٨، ندوة شرعية بعنوان: (كيف نحقق الأمن؟)؛ حيث استضافت اللجنة رئيس اللجنة العلمية بجمعية إحياء التراث الشيخ د. محمد الحمود النجدي، ومدير مركز تعزيز الوسطية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. عبد الله الشريكة.

في البداية أكد رئيس اللجنة د. خالد سلطان على أن هذا الموضوع يعد من المواضيع العزيزة والمهمة جدًا، مبينًا أن هذا الموضوع ليس نافلة من القول، أو جانباً فرعياً من جوانب الحياة، بل هو يعبّر عن الحياة بأكملها.

وأشار السلطان إلى أن الإسلام جاء بتعاليمه لكي يعزز هذه القضية، قضية الأمن، إن كان في دين الإنسان، والأمن لعرض الإنسان، والأمن في دم الإنسان، والأمن في مال الإنسان، والأمن في عقل الإنسان، وهي التي يصطلح عليها العلماء بالكليات الخمس، التي جاءت الشريعة لكي تحفظها للإنسان؛ حتى يحيا الحياة الكريمة، الهانئة، والسعيدة.

وأضاف، الحكومات والحكام، ومؤسسات الدول في كل دولة من دول العالم تسعى لتحقيق هذه الأمور الخمس، على طريقتها ومنهجها، ولم يتحقق هذا الأمر على الوجه الصحيح، إلا في دولة النبي -ﷺ- والخلفاء الراشدين، ومن سلك مسلكهم، وأخذوا بتعاليم الشرع الحكيم.

أعظم ما يجب العناية به

وفي كلمته خلال الندوة أكد الشيخ محمد الحمود النجدي أن أعظم ما يجب العناية به هو العقيدة والمنهاج، الذي تسير عليه الأمة، ويسلكه أفرادها، رجالًا ونساءً، هذا أولى ما يجب العناية به، وصرف الهمم إليه، ومن علم الحق وعمل به، لزمه الدعوة إليه؛ فإذا كان كذلك، كان من الربانيين، مَن تعلم العلم وعمل به، ثم دعا إليه، كان عند الله -تعالى- من الربانيين.

اليوم نجد الناس تفرقوا كثيرًا، في الأديان، وفي المذاهب، وفي المناهج، وفي اللغات، وفي الألوان، وهذا تقدير الحكيم العليم - سبحانه وتعالى- ولو شاء الله -تعالى- لجعل الناس أمة واحدة، لكن شاء الله -عَزَّ وَجَل- أن يقع في خلقه ذلك، ليُعرَف الحق من الباطل، ويُعرف الحق وأهله، من الباطل وأهله.

كلمة الفكر

من هنا فإنه ما كان متعلقًا بالاعتقاد والمنهاج، أو ما يُسمى اليوم بالفكر، وكلمة (الفكر) لم تكن موجودة في تراثنا الإسلامي السابق، ومعناها هو: عمل القلب، ونظر القلب، واستنباط وتردد الفكر في العقل، هذا يُسمى فكرًا، لكن اليوم هذه الكلمة، كلمة (الفكر) تُطلق على المنهج، وتُطلق على العقيدة، التي يسير عليها الإنسان.

فكر الأمة

فما يرتبط بفكر الأمة، هو في الحقيقة عقيدتها، ومنهاجها الذي تسير عليه، وحاجتنا إلى الأمن العَقَدي الفكري، الأمن في الاعتقاد، وفي المنهاج؛ إذ حاجتنا إليه حاجة عظيمة؛ لأن العقيدة أولًا

الإسلامية والمنهاج النبوي، هو أهم ما يميز أمة محمد - ﷺ- عن غيرها من الأمم، بعبارة العصريين يقولون: هي أهم مكتسبات الأمة.

اختلال الفكر

الأمر الثاني: أن اختلال الفكر، أو اختلال المنهاج، يؤدي إلى خللٍ عظيم في نظام الأمة، في أمنها وأمانها، هذا الخلل لمسنا آثاره عندما ضل بعض الناس في الفكر والمنهاج؛ فحصلت كوارث، وحصلت مصائب عظيمة في الأمة، من سفك الدماء بغير حق، وإتلاف الأموال، والجناية على ما حرّم الله -سبحانه وتعالى.

فإذًا، الضرر المتوقَع من اختلال الفكر، يكون ضررًا جنائيًا، على الأنفس، وعلى الأموال، وعلى الأعراض، وبالتالي خلل عظيم على أمن الأمة وأمانها بأسره.

تعاريف مهمة

ويمكن أن نعرِّف بعض التعاريف، قبل الدخول إلى الكلام عن الأمن الفكري، والأمن التربوي، والأمن الذي يجب أن يكون عند المسلم في رجوعه، يعني في مصادره التي يصدر عنها.

الأمن والأمان

هو طمأنينة القلب وسكونه، وعدم توقعه الضرر، لا في النفس، ولا في المال، ولا في العرض، فهو آمن مطمئن، وهذا المعنى موجودٌ في كتاب الله - تبارك وتعالى- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ (النحل: ١١٨)؛ فالقرية الآمنة، المطمئنة، الساكنة، التي لا تخاف، لا تخاف مَن يضرها في عقيدتها، أو يضرها في أمنها، وأمانها، ومالها، وعرضها، والشريعة جاءت بحفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، هذه الضروريات الخمس تختل إذا حصل خلل في المنهاج العَقَدي، في عقيدة الإنسان وفي منهاجه، وهذا ما نلمسه واضحًا جليًا من الفرق الضالة، وعلى رأسها الخوارج، الذين حذّر منهم النبي -ﷺ- في أحاديث كثيرة، عنه - عليه الصلاة والسلام- ولم يأمر - ﷺ- بقتل فرقة وقتالها، كما أمر بقتل هذه الفرقة وقتالها، التي تُحدث الخلل العظيم في أمن الأمة وأمانها، بعدوانها على الأنفس والأرواح، وعلى الممتلكات والأعراض.

الضرر المتوقَع من اختلال الفكر، يكون ضررًا جنائيًا، على الأنفس، وعلى الأموال، وعلى الأعراض، وبالتالي خلل عظيم على أمن الأمة وأمانها بأسره

تحقيق الأمن الفكري

تحقيق الأمن والطمأنينة، والأمن والأمان، هو مقصد شرعي؛ لأن الشرائع ولاسيما شريعة الإسلام جاءت بحفظ الضروريات الخمس، ومن أجل تحقيق الأمن الفكري، والأمن من الانحراف في المعتقَد، الأمن من الانحراف في المنهاج، والتصور، والفكر، ولابد من أمور هي كما يلي:

تصحيح المصادر

أولًا: تصحيح المصادر التي يجب أن يرجع إليها المسلم؛ لأن المسلم يتميز أنه يصدر عن كتاب الله - تبارك وتعالى- وسنة نبيه -ﷺ- يعني يصدر في تصرفاته وعمله وعقيدته ومنهاجه عن الوحي المُنـزَّل، وبهذا يكون هو من أحسن الناس مصدرًا، ومن أوثقهم، وأنقاهم، وأفضلهم، وأحسنهم، وأكملهم؛ لأنه ينطلق من قول الله -تعالى-: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، وينطلق من قول النبيّ -ﷺ- الذي زكّى الله -تعالى- منطقه، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٣: ٤).

فإذًا من أجل الأمن الفكري، والأمن العَقَدي، لابد من تصحيح المصدر الذي يصدر عنه المسلم، تفكير المسلمين بالمصدر الذي يجب الرجوع إليه، والصدور عنه، والاحتكام إليه، والقول بما قال، وإبطال ما أبطل، وهذا يا إخوة يعني: ربط المسلم بربه -سبحانه وتعالى- والله -تعالى- يقول في كتابه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) ، وحبل الله هو القرآن، كما جاء تفسيره في حديث النبي -ﷺ-، وأيضًا، هذا الأمر يضبط منهج المسلم، يضبط عقيدته، يضبط سيره، وطريقته في الحياة الدنيا؛ لأنه يصدر عن قول الله، وعن قول رسوله -ﷺ-.

الدليل والبرهان

ومما يُكمِّل هذا: أن المسلم مطالَب، إذا عمل عملًا، أثبت عقيدةً، أو أثبت فكرًا، مطالَب بالدليل، مطالَب بالبرهان؛ ولهذا من المستقر عندنا في الشريعة، أن الأحاديث المكذوبة، والأحاديث الضعيفة، ليست مصدرًا للتشريع، ولا يجوز للإنسان أن يؤصِّل بها حكمًا شرعيًا، أو يثبت بها عقيدة؛ لأنها لم تثبت أصلا؛ فهي ليست مصدرًا من مصادر الفكر الصحيح، الذي يحقق الأمن الفكري للأمة.

التثبت في الأخبار

ومثل ذلك أيضًا: التثبت في الأخبار، والتثبت في النقول عن الأشخاص، وعمن له كلمة مسموعة، كالأمراء والعلماء، التثبت، هذا يحقق لنا أمنا، ولهذا قال الله - تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣).

هذا شيءٌ أدّب الله -تعالى- به المؤمنين، ألا يستعجلوا في نشر الأخبار، أو نشر ما يتعلق بأمن الأمة وأمانها، أو بخوفها، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾، قال أهل التفسير: (من النصر أو الهزيمة)، ربما أشاعوا خبرًا عن نصر المؤمنين، ولم يكن كذلك، أو أشاعوا خبرًا عن هزيمتهم، وليس الأمر كذلك، فإذًا لا بد من التثبت من المصدر.

ضبط الفهم

الأمر الثاني فيما يتعلق بالمصدر: هو ضبط الفهم، رجعنا إلى القرآن، وإلى السنة، فبأي مفهوم نفهم القرآن، ونفهم السنة؟ صحيح الآية موجودة، والحديث موجود، لكن هل الآية تدل على ما قال فلان؟ أو على ما ذهب إليه فلان؟ إذًا ضبط الفهم لنصوص القرآن والسنة، الذي يكون عن صحة الفهم، وحسن القصد، أحيانًا الإنسان يفهم فهماً مغلوطًا؛ لأن له هوى، في الاستدلال بهذه الآية، أو الاستدلال بهذا الحديث.

وهناك أوجه كثيرة للانحراف في فهم القرآن والسنة، ليس هذا مجال بسطها وبيانها، وخير من فهم القرآن والسنة هم أصحاب النبي -ﷺ- ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شرح كتاب الجنائز من صحيح مسلم

باب : القيام للجنازة

كتب: الشيخ محمد الحمود النجدي

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنهما- قال: مَرَّتْ جِنَازَةٌ فَقَامَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا يَهُودِيَّةٌ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا»، هذا الحديث رواه مسلم في الجنائز (٢/٦٦٠)، وبوّب عليه النووي كتبويب المنذري، ورواه البخاري في صحيحه في الجنائز (١٣١١): باب من قام لجنازة يهودي .

قوله: «إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ» خوفٌ وهول، قال البزار: وفيه تنبيه على أن تلك الحالة ينبغي لمن رآها أن يقلق من أجلها ويضطرب، ولا يظهر منه عدم المبالاة، وقوله: «فإذا رأيتم الجنازة فقوموا». أي: تعظيماً لهول الموت وفزعه، لا تعظيماً للميت؛ فلا يختص القيام بميت دون ميت.

تعليل القيام لجنازة اليهودي

وقد اختلفت الأحاديث في تعليل القيام لجنازة اليهودي أو غيره؛ ففي هذا الحديث التعليل بقوله: «إن الموت فزع»، وفي حديث سهل بن حنيف وقيس الآتي التعليل بكونها (نفساً)؛ فروى مسلم: عن ابن أبي ليلى: أنّ قيس بن سعد وسهل بن حنيف: كانا بالقادسية؛ فمرّت بهما جنازة فقاما؛ فقيل لهما: إنَّها مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فقالَا: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ؛ فقيل: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا». ورواه البخاري (١٣١٢).

قوله: «من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، وقيل لأهل الذمة: أهل الأرض؛ لأن المسلمين لما فتحوا البلاد، أقروهم على عمل في الأرض، وحمل الخراج، وفي حديث أنس مرفوعا عند النسائي والطبراني والحاكم: «إنّما قمْنا للملائكة»، ولأحمد (٦٥٧٣): عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو: أَنَّه سَأَلَ رَجُلٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ؛ فقال: يا رَسُولَ اللَّه، تَمُرُّ بنَا جَنَازَةُ الكَافر، أَفَنَقُومُ لها؟ قَال: «نَعَمْ قُومُوا لها؛ فإنَّكُم لَسْتُمْ تَقُومُونَ لها، إنَّمَا تَقُومُونَ إِعْظَامًا لِلَّذِي يَقْبِضُ النُّفُوسَ». وصححه وابن حبان والحاكم، وهو كذلك .

وهذا أيضا لا ينافي التعليل السابق؛ لأنّ القيام للفزع من الموت، فيه تعظيم لأمر الله، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك، وهم الملائكة، ولا معارضة بين هذه التعليلات؛ قال الحافظ ابن حجر: لا منافاة فيها؛ لأن القيام للفزع من الموت فيه تعظيم لأمر الله، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك، وهم الملائكة .



اختلف أهل العلم في حكم قيام مَنْ مرّت به الجنازة وهو جالس، على قولين: القول بالكراهة هو المعتمد في مذهب الحنفية والحنابلة والقول بالاستحباب وهو قول الشافعية ومذهب ابن حزم

حكم قيام مَنْ مرّت به الجنازة

وقد اختلف أهل العلم في حكم قيام مَنْ مرّت به الجنازة وهو جالس، على قولين:

القول بالكراهة

القول الأول: كراهة القيام للجنازة لمن مرّت به، ولو كان في المقبرة سابقا، وهو المعتمد في مذهب الحنفية والحنابلة، ونقله بعض الشافعية عن جمهور الأصحاب.

قال ابن الهمام الحنفي -رحمه الله-: «القاعد على الطريق إذا مرت به، أو على القبر إذا جيء به: فلا يقوم لها، وقيل يقوم، واختير الأول؛ لما روي عن علي: كان رسول اللهﷺ أمرنا بالقيام في الجنازة، ثم جلس بعد ذلك، وأمرنا بالجلوس» بهذا اللفظ لأحمد. انتهى. فتح القدير (٢/١٣٥).

وقال البهوتي الحنبلي -رحمه الله-: وإنْ جاءت الجنازة وهو جالس، أو مرت به «وهو جالس» كره قيامه لها لحديث ابن سيرين قال: مر بجنازة على الحسن بن علي وابن عباس؛ فقام الحسن ولم يقم ابن عباس؛ فقال الحسن لابن عباس: أما قام لها النبيﷺ؟ قال ابن عباس: قام ثم قعد، رواه النسائي. انتهى. كشاف القناع (٢/١٣٠).

وقال الخطيب الشربيني الشافعي -رحمه الله-: يكره القيام للجنازة إذا مرّت به، ولم يرد الذهاب معها كما صرح به في (الروضة)، وجرى عليه ابن المقري، خلافا لما جرى عليه المتولي من الاستحباب. انتهى. مغني المحتاج (٢/٢٠)، وعزاه النووي -رحمه الله- في المجموع(٥/٢٤١) إلى الإمام الشافعي وجمهور الأصحاب.

القول بالاستحباب

القول الثاني: يستحب القيام لِمَن مَرَّت به الجنازة، وهو القول الآخر عند الشافعية، ومذهب ابن حزم الظاهري، قال الإمام النووي -رحمه الله-: هذا الذي قاله صاحب (التتمة) هو المختار -يعني الاستحباب-؛ فقد صحت الأحاديث بالأمر بالقيام، ولم يثبت في القعود شيء، إلا حديث عليرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ليس صريحا في النسخ، بل ليس فيه نسخ؛ لأنه محتمل القعود لبيان الجواز، والله أعلم. المجموع(٥/٢٤١)، وقال ابن حزم -رحمه الله-: نستحب القيام للجنازة إذا رآها المرء - وإنْ كانت جنازة كافر - حتى توضع أو تَخْلفه؛ فإنْ لم يقمْ فلا حرج. المحلى (٣/٣٨٠).

واستدلوا بما يلي:

١- عن عامر بن رَبِيعَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ؛ فَقُومُوا لَهَا حَتَّى تُخَلِّفَكُمْ، أَوْ تُوضَعَ». رواه مسلم (٩٥٨).

٢- وعن ابن أَبِي ليلى: أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كانَا بِالْقَادِسِيَّةِ؛ فَمَرَّتْ بهما جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيل لهما: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فقالَا: إِنَّ رسولَ اللَّهِﷺ مَرَّتْ به جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيل: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا». رواه مسلم (٩٦٠).

وأجابوا عن أدلة القول الأول: بأن قعود النبيﷺ ليس صريحا في النسخ ؛ إذْ قد يكون لبيان الجواز، كما سبق نقله في كلام النووي -رحمه الله-، قال ابن حزم -رحمه الله-: «فكان قعودهﷺ بعد أمره بالقيام، مبينا أنه أمرُ ندب، وليس يجوز أنْ يكون هذا نسخا؛ لأنه لا يجوز ترك سُنّة متيقنة إلا بيقين نسخ، والنسخ لا يكون إلا بالنهي، أو بتركٍ معه نهي .

فإنْ قيل: قد رويتم من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال: قمت إلى جنب نافع بن جبير في جنازة، فقال لي: حدثني مسعود بن الحكم، عن علي بن أبي طالب قال: أمرنا رسول اللهﷺ بالقيام، ثم أمرنا بالجلوس .

فهلا قطعتم بالنسخ بهذا الخبر ؟

قلنا: كنا نفعل ذلك، لولا ما روينا من طريق أحمد بن شعيب أنا يوسف بن سعيد نا حجاج بن محمد هو الأعور عن ابن جريج، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري قالا جميعا: ما رأينا رسول اللهﷺ شهد جنازة قط؛ فجلس حتى توضع؛ فهذا عمله -عليه السلام- المداوم ، وأبو هريرة وأبو سعيد ما فارقاه -عليه السلام- حتى مات؛ فصحَّ أن أمره بالجلوس إباحة وتخفيف، وأمره بالقيام وقيامه ندب. المحلى (٣/٣٨٠-٣٨١).

وقال البيضاوي: يحتمل قول علي: «ثم قعد». أي : بعد أنْ جاوزته وبعدت عنه، ويحتمل أنْ يريد كان يقوم في وقت، ثم ترك القيام أصلا، وعلى هذا يكون فعله الأخير، قرينة في أن المراد بالأمر الوارد في ذلك الندب، ويحتمل أنْ يكون نسخاً للوجوب المستفاد من ظاهر الأمر، والأول أرجح لأنّ احتمال المجاز - يعني في الأمر - أولى من دعوى النسخ. انتهى.

والاحتمال الأول يدفعه: ما رواه البيهقي: من حديث علي أنه أشار إلى قوم قاموا: أنْ يجلسوا، ثم حدثهم الحديث، ومن ثم قال بكراهة القيام جماعة، منهم سليم الرازي وغيره من الشافعية، وأما ما أخرجه أحمد: من حديث الحسن بن علي قال: إنما قام رسول اللهﷺ تأذيا بريح اليهودي، زاد

الشيخ ابن عثيمين «الراجح أن الإنسان إذا مرّت به الجنازة قام لها؛ لأن النبي ﷺ أمر بذلك، وفعله أيضاً ، ثم تركه ، والجمع بين فعله وتركه: أنّ تركه ليبين أنّ القيام ليس بواجب»

الطبراني: من حديث عبد الله بن عياش: «فآذاه ريح بخورها»، وللطبراني والبيهقي من وجه آخر عن الحسن: «كراهية أنْ تعلو رأسه»؛ فهي أحاديث لا تصح سنداً .

المسألة الثانية

أما المسألة الثانية في هذا الحديث فهي: حكم بقاء المشيِّعين للجنازة قياما في المقبرة، حتى يوضع الميت في قبره، قد اختلف أهل العلم في هذه المسألة أيضاً على قولين :

القول الأول

استحباب القيام وكراهة الجلوس، وهو المعتمد في مذهب الحنفية والحنابلة، واختاره بعض الشافعية.

واستدلوا بحديث أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: « إِذَا اتَّبَعْتُمْ جنَازَةً؛ فلا تَجْلِسُوا حتَّى تُوضَعَ». رواه مسلم (٩٥٩).

قال ابن الهمام الحنفي -رحمه الله-: «وإذا بلغوا إلى قبره يكره أنْ يجلسوا قبل أنْ يوضع عن أعناق الرجال؛ لأنه قد تقع الحاجة إلى التعاون ، والقيام أمكن منه؛ ولأن المعقول من ندب الشرع لحضور دفنه إكرام الميت، وفي جلوسهم قبل وضعه ازدراء به وعدم التفات إليه، هذا في حق الماشي معها». فتح القدير (١٣٥/٢).

وقال البهوتي الحنبلي -رحمه الله-: «ويكره جلوس من تبعها» أي: الجنازة حتى توضع بالأرض للدفن، نص عليه، «إلا لمن بَعُد عنها» أي : عن الجنازة؛ فلا يكره جلوسه قبل وضعها بالأرض؛ لما في انتظاره قائما من المشقة، قال: «وكان الإمام أحمد إذا صلى على جنازة - هو وليها - لم يجلس حتى تدفن نقله المروذي، ونقل حنبل: لا بأس بقيامه على القبر حتى تدفن جبرا وإكراما، ووقف علي على قبر فقيل له: ألا تجلس يا أمير المؤمنين؟ فقال: قليل على أخينا قيامنا على قبره. ذكره أحمد محتجا به . كشاف القناع (١٣٠/٢).

القول الثاني

كراهة القيام، وهو المعتمد في مذهب المالكية ، على خلاف بينهم ، وقول عند الشافعية والحنابلة، قال النووي -رحمه الله-: ثبتت الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما: أنّ رسول الله ﷺ أمر بالقيام لمن مرَّت به جنازة حتى تخلفه، أو تُوضع، وأمر من تبعها ألا يقعد عند القبر حتى توضع، ثم اختلف العلماء في نسخه؛ فقال الشافعي وجمهور أصحابنا: هذان القيامان منسوخان؛ فلا يُؤمر أحد بالقيام اليوم، سواء مرت به أم تبعها إلى القبر.

ثم قال المصنف وجماعة: هو مخير بين القيام والقعود. المجموع (٢٤١/٥)، وقال المرداوي -رحمه الله-: قوله: «ولا يجلس من تبعها حتى توضع « يعني : يكره ذلك، وهو المذهب وعليه الأصحاب، وعنه : لا يكره الجلوس لمن كان بعيدا عنها .

تنبيه

قوله: «حتى توضع» يعني بالأرض للدفن، وهذا المذهب نقله الجماعة، وعنه حتى توضع للصلاة، وعنه: حتى توضع في اللحد، قوله: «وإنْ جاءت وهو جالس لم يقم لها»، وهو المذهب نص عليه، وعليه أكثر الأصحاب وجزم به في (الوجيز) وغيره، وقدمه في (الفروع)، و(المغني)، و (الشرح) وغيرهم، وعليه أكثر الأصحاب.

وعنه: يستحب القيام لها، ولو كانت كافرة، نصره ابن أبي موسى واختاره القاضي، وابن عقيل، والشيخ تقي الدين، وصاحب (الفائق) فيه، وعنه: القيام وعدمه سواء، وعنه: يستحب القيام حتى تغيب أو توضع، وقاله ابن موسى . الإنصاف (٥٤٢/٢-٥٤٣).

واختار غير واحد من أهل العلم المعاصرين: القول باستحباب القيام للجنازة في المسألتين، في حالة مرورها بالقاعد، وفي حالة وصولها إلى المقبرة للدفن، اعتماداً على الأدلة الصريحة التي جاء فيها القيام للجنازة من قول النبي ﷺ وفعله، وعدم ثبوت ما يدل على النسخ، وأما ترك النبي ﷺ القيام في بعض الأحيان؛ فهو لبيان الجواز .

وقد سئل العلامة ابن باز -رحمه الله-: إذا كان المسلم في المسجد، ورأى الجنازة هل يقوم؟

فأجاب: ظاهر الحديث العموم؛ فهو إذنٌ مستحب، ومَن تركه فلا حرج؛ لأن القيام لها سُنة وليس بواجب؛ لأن الرسول ﷺ قام تارة، وقعد أخرى، فدل ذلك على عدم الوجوب». مجموع فتاوى ابن باز (١٨٧/١٣-١٨٨).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: «الراجح أن الإنسان إذا مرّت به الجنازة قام لها؛ لأن النبي ﷺ أمر بذلك، وفعله أيضاً ، ثم تركه ، والجمع بين فعله وتركه: أنّ تركه ليبين أنّ القيام ليس بواجب». مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١١٢/١٧).



آيات الله (٦)

بقلم: د. أمير الحداد (*)

www.prof-alhadad.com

كنت وصاحبي في رحلة خيرية لتوزيع بعض المساعدات للمحتاجين في إحدى الدول الإسلامية. قام صاحبي بترتيب الرحلة باتصالاته الشخصية في ذلك البلد، وكانت القرية التي نريد الذهاب إليها خليط من المسلمين والنصارى!!

- كم كان عمر عيسى بن مريم عندما توفاه الله؟

أنكر سائقنا مقولة صاحبي.

- عيسى ابن مريم لم يمت، بل رفعه الله إليه.

- نعم ، ولم يقل أحد أنه مات، قال صاحبي: توفاه الله كما قال الله -تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ **(آل عمران: ٥٥).**

- وهناك فرق بين الوفاة والموت؟

- نعم، متوفيك، أي (منميك)، (قابضك من الأرض)، (رافعك من الأرض)؛ فهو لم يمت، بل رفعه الله إليه، وسينزل في آخر الزمان، ويقتل المسيح الدجال، ثم يموت كما يموت باقي البشر، ولم يرد خبر صحيح في عمر عيسى بن مريم ﷺ عندما رفعه الله، قيل ثلاث وثلاثون، وقيل غير ذلك، وهذه مسألة غير مهمة ولا ينبغي الوقوف عندها.

- أما الآيات التي أيد الله بها عيسى فهي التي ذكرها الله -عز وجل-، وقد بعثه الله إلى بني إسرائيل؛ ليكمل رسالة موسى -عليه السلام-. ومن معجزاته -عليه السلام- أن خلق لهم من الطين كهيئة الطير؛ فطار بإذن الله، وكان يبرئ الأكمه (المولود الأعمى)، والأبرص، وأحيا بعض الموتى، وكل ذلك بإذن الله.

- ماذا عن بقية الأنبياء: يعقوب، وسليمان، وداوود، ويوسف، ولوط، وهود، وغيرهم.

- لقد ذكر الله دعوة هؤلاء الرسل والأنبياء، وما أيدهم الله به؛ ففي سورة الشعراء، يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وفي سورة الأنبياء، يقول -تعالى-: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

وفي سورة النمل، يقول -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، **وفي ص:** ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

فالقاعدة العامة، أن كل نبي مرسل أيده الله بما يقيم الحجة على الخلق، وبما لا يدع لهم مجالا للشك في أنه مبعوث من عند الله؛ فالقضية ليست إثبات النبوة، وإنما الموقف بعد أن أيقنوا أنه نبي مرسل من عند الله؛ ولذلك استحقت تلك الأمم الهلاك؛ لأن الحجة قامت عليهم.

(*) أستاذ في جامعة الكويت



«احفظ الله يحفظك»

منهج السلف في التعامل مع ولي الأمر

الشيخ: رائد الحزيمي

قال الله -عز وجل- لهارون وموسى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، هذا توجيه رباني كريم لرسولين كريمين، بُعثا إلى شخصيَّة طاغية إلى فرعون، لقد أمرا بالقول اللين، واللين مطلوب في ذاته؛ لأنه من شعائر الدَّعوة إلى الحق، وقد أمر به الرَّسول محمد -ﷺ-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

إنَّ اللين في الدعوة يُعين على التذكُّر، ويحمل على الخَشْية؛ ولهذا كان غاية ووسيلة في آنٍ واحد؛ فهو لا يتوقَّف على الخشية منَ المدعو، بمعنى: أنَّ الداعية إذا خاف منَ المدعو لَانَ له في القول، وإذا أمنه أغلظ له؛ فهذا المفهوم يردّه سياق الآيات التي أمر الله بها موسى وهارون - عليهما السلام - بهذا الأمر، ذلك أنَّ الله -تعالى- قال لهما: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦)، فقد ضمن لهما السلامة - سبحانه - بعد أن قالا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (طه: ٤٥)؛ أي: نخاف أن يعجل بعقابنا بالقتل أو بغيره من العقوبات، قبل أن نبلغه الدعوة، ومع هذا الأمن الذي وعد الله به الرسولين، بقي الأمر بالقول اللين قائمًا، لطاغية تجرأ؛ فقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤)، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨).

بعض الناس يفهم حديث النبي - عليه الصلاة والسلام- فهمًا خطأ: «وكلمة حق عند سلطان جائر»، نعم، لقد فهموه بأهوائهم، فهموه بما يوافق هواهم، «عند سلطان جائر»، اذهب إلى السلطان، هكذا قال الله -تعالى-: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٤)، ولكننا لأننا قد نسينا حظًا مما ذُكرنا به، استحققنا من ربنا - عزَ وَجل- ما قد أُبتلي به بنو إسرائيل، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ١٤).

والحديث في ظلال الجنة كما خرجه الإمام الألباني - رحمه الله- قال رسول الله -ﷺ-: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمرٍ؛ فلا يبدي له علانية»، إذًا لابد أن نعرف كيفية نصح الحاكم، وولي الأمر، ومفاسد المظاهرات، التي قد استهوت، وفتنت كثيرا من الناس.

قال رسول الله -ﷺ-: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر - (نكرة، أي أمر)- فلا يُبدي له علانية»، لا يُظهر الأمر علانية، «ولكن ليأخذ بيده»، انظر إلى التصوير البليغ من النبي - عليه الصلاة والسلام- كأنه يؤكد الأمر، حتى لا يبقى هناك لبس في ذهن إنسان.

يقول: «ولكن ليأخذ بيده فيخلو به»، بينه وبينه، حتى لا يكون معهم الثالث، «فيخلو به؛ فإن قبل منه، فذاك، وإلا، كان قد أدى الذي عليه له»، انتهى، إذا قبل منك؛ فالحمد لله رب العالمين، وإن لم يقبل منك؛ فقد فعلت الذي هو واجب عليك وانتهى الأمر، ليس لك من الأمر شيء بعد ذلك.

وفي صحيح البخاري ومسلم، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْد، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؛ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ، وَاللَّه لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِأَحَد يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا، إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُلْقَى فِي النَّارِ؛ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِه؛ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى؛ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ؛ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ: مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟، فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ

اللينُ في الدعوة يُعين على التذكُّر، ويحمل على الخَشية؛ ولهذا كان غاية ووسيلة في آنٍ واحد

ليس من منهج السلف -أبدًا- التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يُفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف

كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

قال ابن رجب في (جامع العلوم والحِكم): إن ابن عباس سُئل عن أمر السلطان بالمعروف، ونهيه عن المنكر؛ فقال: إن كنت فاعلًا – تريد أن تأمر السلطان وتنهاه–؛ فإن كنت فاعلًا ولابد ففيما بينك وبينه، فلا يظن إنسان أن من أسِّ النصيحة للسلطان، ذاك جبن، أما الذي يخرج وصوته عال، ذلك شجاع، أبدًا والله الذي لا إله إلا هو.

يقول ابن النحاس في كتابه: (تنبيه الغافلين من أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين) : «ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سرًا، ونصحه خفيةً، من غير ثالثٍ لهما، أبدًا، من غير ثالثٍ لهما».

قال حنبلٌ –ابن الإمام أحمد–: «اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله في ولاية الواثق، وشاوروه في ترك الرضا بإمرته، فقال لهم: عليكم بالنكرة في قلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين، وذكر الحديث عن النبي -ﷺ- « إن ضربك فاصبر» أمر بالصبر».طبقات الحنابلة (١/ ١٤٤ – ١٤٥).

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله–: «ليس من منهج السلف –أبدًا– التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يُفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويُفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع» – كأنه معنا اليوم، توفي –رحمة الله عليه– أكثر من ثلاث عشرة سنة.

ولكن الطريق المتبع عند السلف، يقول: النصيحة فيما بينهم، وبين السلطان، والكتابة إليهم، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به، حتى يُوجه إلى الخير»، ثم قال: «وإنكار المنكر يكون دون ذكر الفاعل»، لا تقل: فعل فلان؛ فيُنكر الزنى، ويُنكر الخمر، ويُنكر الربا، ولكن لا تذكر الفاعل.

وإليكم كلام الأئمة مجمعين، كالشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ، والعلامة محمد بن عبد الله آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهم من علماء الأمة، في هذا الزمن، الذي قد جهله الناس اليوم.

سُئل الإمام مالك – إمام دار الهجرة: أيأتي الرجل السلطان فيعظه وينصح له، يأتيه ويندبه إلى الخير؟ فقال: اسمع كلمة الإمام مالك، صاحب مذهب المالكية يقول: «إذا رُجي – تأمل وأمل– أن يُسمع منه، وإلا؛ فليس ذلك عليه»، ليس كل إنسان يذهب ويتكلم للسلطان، إذا ظن أن السلطان سيسمع منه، نعم، نأذن له أن يذهب إلى السلطان، ولكن ليس ذلك عليه، إن لم يكن يسمع له.

الإمام الشوكاني – رحمه الله– في كتاب (السيل الجرار) يقول: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام، في بعض المسائل، أن يُناصحه، ولا يُظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد الحديث أنه يأخذ بيده، ويخلو به، ويذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله».

وقد قدمنا في أول كتاب (السير) أنه لا يجوز الخروج على الأئمة، وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ، ما أقاموا الصلاة، ولم يظهر منهم الكفر البواح، والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة.

أختم بكلام شيخنا العلامة ابن عثيمين – رحمه الله– يقول: «الله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وألا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلا لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور؛ فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا ملء القلوب على العلماء.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله– يقول: الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا عرفوا أحدا من العلماء ذكر شيئًا من ذلك.

وقد حكى الإجماع كذلك ابن حجر العسقلاني في (الفتح) إذا قيل في الفتح فهو شرح الإمام البخاري – فتح الباري– يقول: «وقد أجمع العلماء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء»، وإلى غير ذلك من أقوال العلماء الكثيرة التي بينها علماؤنا الأفاضل – رحمهم الله تعالى.

وختامًا ألم تشاهدوا كل الذي قلناه؟ ألم تروا المظاهرات ومفاسدها: القتل، والاعتداء على الآمنين الأبرياء، والفتن، والفساد، وتكسير السيارات، وقذف الزجاجات، ومنع الطرق، ومنع المصالح، أهذا إفساد أم إصلاح؟! أليس هذا هو الإفساد؟ يريدون الإصلاح وقدأفسدوا؛ من حيث لا يشعرون.

الوسطية الإسلامية (١)

الشيخ أحمد المرابط

مفتي عام جمهورية موريتانيا الإسلامية

لتحقيق ما أمر الله -تعالى- به من الاعتصام بحبله مجتمعين غير متفرقين، متآلفين غير متنافرين؛ جعل الله -سبحانه- شريعته وسطية ناكبة عن طرفي الإفراط والتفريط، والأدلة على وسطيتها من الكتاب والسنة كثيرة، فمن الكتاب: قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:١١٠)، وقوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧)، وغيرها من الآيات.

ومن السنة: ما رواه أبو داود عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»، وما رواه الترمذي وصححه، والحاكم في المستدرك وأبو داود وغيرهم عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- مرفوعا: «.. فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا»، وهذا كله قد وقع.

وأدى العدول عن الوسطية الإسلامية إلى نشوء التصنيف والإقصاء في المجتمع الإسلامي، فشكلا خطورة بالغة.

النقطة الأولى: الوسطية الإسلامية في العقيدة

الوسطية الإسلامية في العقيدة: هي توحيد الله -تعالى- في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته على ضوء سورة الفاتحة؛ فقد أثبت الله فيها توحيده في صفاته فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣)﴾، وقد جاء في تفسيرها، تقدير فعل أمر من القول قبل قوله -تعالى-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فالمعنى: قولوا يا عباد الله: الحمد لله رب العالمين، إلى آخر السورة، كما أثبت -تعالى- توحيده في العبادة؛ حيث قال: ﴿إياك نعبد﴾، وأثبت توحيده -تعالى- في الربوبية فقال: ﴿وإياك نستعين﴾.

والآيات المقررة لهذه الأقسام كثيرة في القرآن معروفة مشهورة، تتجلى من خلالها الوسطية الإسلامية في العقيدة؛ حيث إنها تثبت لله -تعالى- أسماءه وصفاته بلا إفراط يؤدي للتشبيه، لقوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، وبلا تفريط يؤدي إلى التعطيل؛ لأنه -تعالى- أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العلا، فقال -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:١٨٠)، وقال: ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ (النساء:١٢٢)، وقال: ﴿ءأنتم أعلم أم الله﴾ (البقرة:١٤٠)؛ وحيث تقرر في توحيد العبادة الذي هو إفراده -تعالى- بالعبادة ألا يصرف أي نوع منها لغير الله -تعالى-، قال -تعالى-: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ (الإسراء:٢٣)، وتقرر في توحيد الربوبية ألا استعانة ولا استغاثة إلا به -تعالى- وحده، ولا خوف إلا منه، ولا رجاء إلا له، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ (يونس)، وفي شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز في هذا المعنى ما نصه: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ﴿الحمدلله رب العالمين﴾، توحيد، ﴿الرحمن الرحيم﴾، توحيد، ﴿مالك يوم الدين﴾، توحيد، ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، توحيد، ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد ﴿الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، الذين فارقوا التوحيد».

النقطة الثانية: الوسطية الإسلامية في العبادة

للوسطية الإسلامية في العبادة حيثيتان:

الحيثية الأولى: أن تكون العبادة منضبطة بثلاثة



ضوابط:

الضابط الأول: أن يكون العمل الصالح مبنيا على عقيدة صحيحة، لقوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ (النساء).

الضابط الثاني: أن يكون العمل الصالح جاريا على ما في الكتاب والسنة؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ (آل عمران)، ولما بوب به البخاري في صحيحه ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

الضابط الثالث: الإخلاص في العمل لله تعالى-، لقوله -تعالى-: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ (الزمر:٣)، ولما روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال: «قال الله -تبارك وتعالى-: انا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى، تركته وشركه».

والحيثية الثانية: أن يتحرى العبد ما يطيقه من العبادة ويداوم عليه؛ لما رواه مالك في الموطأ وأبو داود والنسائي وغيرهم من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- قال: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل. وكان إذا عمل عملا أثبته»، ولحديث أنس -رضي الله عنه- قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ-، يسألون عن عبادته -ﷺ-؛ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها؛ فقالوا: وأين نحن من النبي -ﷺ- وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: اما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر فلا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا، فجاء النبي -ﷺ- إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله -عز وجل- وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني».

النقطة الثالثة: الوسطية الإسلامية في الحكم على العصاة من الناس

هي ألا يحكم عليهم بالخروج من الملة ما داموا من أهل القبلة: معترفين بما جاء به محمد -ﷺ-، مصدقين بما أخبر به، وأن يحكم بأن الكفر والنفاق المطلقين في بعض نصوص الوحي على بعض المعاصي: عمليا لا عقدا بالنسبة لأهل القبلة، بل أهل القبلة الذين قال فيهم النبي -ﷺ-: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»؛ فهؤلاء يسمون في الوسطية الإسلامية: مسلمين مؤمنين، ما داموا معترفين بما جاء به محمد -ﷺ-، مصدقين بما أخبر به.

الوسطية الإسلامية في العقيدة: هي توحيد الله -تعالى- في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته على ضوء سورة الفاتحة

أهل الوسطية الإسلامية لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بالذنب ما لم يستحله، ولا يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، فلا هم مرجئون، ولا هم مكفرون

وأهل الوسطية الإسلامية لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بالذنب ما لم يستحله، ولا يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، فلا هم مرجئون، ولا هم مكفرون وعيديون، ولا هم يرون المنزلة بين المنزلتين، بل يسلكون المسلك الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فيرجون للمحسنين من المؤمنين أن يعفو الله عنم ويدخلهم الجنة برحمته، ويستغفرون لمسيئهم، ولا يأمنون عليهم، ويخافون عليهم ولا يقنطونهم، ويرون أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا موحدين وإن لم يكونوا تائبين، بل يرون أنهم كغيرهم صائرون إلى مشيئة الله -تعالى-: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما قال -تعالى-: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء:١١٦)، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته.

النقطة الرابعة: الوسطية في التعامل مع ولاة أمور المسلمين

وتتمثل في عدم الخروج عليهم وإن جاروا، وعدم الدعاء عليهم، وعدم نزع اليد من طاعتهم؛ لأن طاعتهم فيما لا معصية فيه لله -تعالى- من طاعة الله -تعالى-، فقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي -ﷺ- قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف»، وعند البخاري: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»، وفي الصحيحين أيضا: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره؛ إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله -ﷺ- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله؛ إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله -تعالى- بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قال: قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: صفهم لنا يا رسول الله، قال: قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية»، وفي رواية: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

الأخطاءِ المنهجيَّة في نسبةِ التَّكفير إلى السَّلفيَّة

مركز سلف للبحوث والدراسات

(الدعوةُ السَّلفية تاريخٌ من التَّكفير، فهل من حلٍّ؟!) هذا عنوانُ إحدى الحَلَقَات الحوارية بعد حادثة سيِّدة الكَرْم، وهي امرأة مصرية نصرانية، كان ابنها على علاقة بفتاة مسلمة، ثم حدثت ملابساتٌ عديدة أدَّت إلى إحراق بعض منازل النصارى وإهانة هذه المرأة، فتأجَّج الشَّارع العربي بعد تلك الحادثة، وبقيَ الخطاب العربي -الإعلامي تحديدًا- يتداولُ دوافع هذا الفعل، وكثيرٌ من أصابع النّخَب الفكرية والإعلامية توجَّهت إلى السلفية على أنَّها هي الحاضنَة لفكر التكفير في الأمّة! ولا ضيرَ في نسبة فكرة معينة إلى منهج معين إن كان المنهجُ بالفعل يُحقّقها ويعمل بها، ولكن المشكلة كلها في نسبة فكرةٍ إلى منهج أو مذهب مُعيّن وهذا المنهج يخالف هذه الفكرة، بل ويناقضها في أدبياته وتطبيقاته، وينقدها في تقريراته وتأصيلاته. فهل السلفيّة حقا بالَغت في التَّكفير حتى أصبحت ملاذًا للمُتطرِّفين؟!

إحدى المعتركات الفكريّة

لا يخفى على أحد أنّ مسألة التكفير هي إحدى المعتركات الفكريّة الكبرى في تراثنا الإسلاميّ، وقد وُجد مبكرًا بوصفه تطبيقا عمليّا، فقد رُمِيَ بالكُفر خيرة الصحابة كعلي -رضيَ الله عنه-، كما رُمِيَ به عُلماء عِظام من علماءِ المسلمين منهم الإمام أحمد بن حنبل -رحمهُ الله- أيّامَ المحنَة بخَلق القُرآن، وَكذلكَ شيخ الإسلام ابن تيميةَ -رحمهُ الله-، والشّيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرُهم من علماء المسلمين، وظلّت هذه الفتنة تكبرُ يومًا بعد يوم حتى جاءَ الوقتُ المعاصر، ولا ينكرُ أحدٌ أنّ هذا الوقت هو من أكثرِ الأوقات التي ظهرَت فيها جماعاتٌ مُتطرِّفة، وهيَ وإن كانَت تُمثّلُ أقلية بالنِّسبة إلى المجتمع المسلم الأعم؛ إلا أن لها كياناتها ورموزُها وخطاباتُها، ويبقى السؤال مطروحًا حول أصولِ هذه الطوائف الغالية في التكفير والمتطرفة في التّعامل مع غيرهم، وهذا السؤال هو أحد السؤالات المنهجيَّة الكبرى التي طُرحت في هذا الملف، وتداولتهَا النُّخبُ الفكريّةُ والسياسيَّةُ بالإجابة والتحليل، والمتتبِّعُ لهذه الحوارات والسجالات الفكرية يجدُ أن هناك تيارًا يكبر يومًا بعد يوم، يتبنّى القول بأن السَّلفية هي أساسُ هذه الجماعات المتطرفة، وأن تلك الجماعات لا تستنِدُ إلا على أصولها، ولا تنطلقُ إلا من أقوالِ رُموزها، وأنّ السّلفية هي الأرضُ الصلبة التي تقفُ عليها كلُّ الجماعات المتطرفة! والعجيبُ أن من رُمي بالكُفر من أمثالِ ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب هم من يُوسَمُون الآن بأنهم يُكفّرون الناس! ومع أن الدول الإسلامية اليوم تعيشُ أزمةً حقيقيةً مع الجماعات المتطرفة؛



كثيرٌ من النّاس يرمون السَّلفيّة بالتّكفير هكذا مطلقًا من أي قيدٍ يُفصِّل ماهيّةَ هذا التكفير! وهذا قصورٌ معرفيّ وخللٌ منهجيّ في التّصوّر العام للتكفير

الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقلّ بها العقل؛ فالكافر من جعله الله ورسوله كافرًا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقًا

إلا أنّ التّعاطي مع هذا الملف برمي التهم هنا وهناك لن يحلّ من الأمر شيئًا، بل يزيد الأمر غموضًا والتباسًا وإشكالًا وربما تطرُّفًا!

تحليل البنية الخطابية

ومن يُعمل بصرَهُ وتفكيرَهُ في تحليل البنية الخطابية لهذه الاتّهامات يجدُ أنّها صادرة عن كسل معرفي، فبدلًا من البحث وراءَ الدّوافع الحقيقية والأسبابِ التي شكّلت هذه الجماعات -سواءً كانت دينيةً أم سياسيةً أم اجتماعيّة- يأتي هذا ليتّكئ على أريكته ويقول: إنّ السلفية هي المسؤولة عن هذا التطرف في العالم الإسلامي! وهو بذلك قد تخلّص من قَلَق الدّافع المجهُول.

دراساتٍ علميَّةً جادّة

ولا نُنكر أن هناك دراساتٍ علميَّةً جادّة، لكنّها غير حاضرة في الخطابات الشعبويَّة ولا الإعلامية، التي هي وقود الحراكِ الفكري العالمي، وفي نهاية المطاف يُصبح الموضوع تبادلَ اتهامات، وإخمادَ التطرف بإشعالِ تطرفٍ آخر، وذلكَ لن يحلّ القضية الأساسية، ولن يفيدَها شيئًا.

أبرز الأخطاء المنهجيّة

وفي هذا المقَال سنُحاولُ تسليط الضوء على أبرزِ الأخطاءِ المنهجيّة التي وقع فيها من نسب التكفيرَ إلى السّلفية، ولسنا معنيِّين -في هذا المقال- بتتبع الأقوال المفردة، وإنما بالأخطاء الكبرى التي تجمع أخطاء عديدة تقعُ فيها تلك الخطاباتِ بصورٍ متعددة، مع التأكيد على أن اتهام الدعوة السلفية بالتّكفير ليس فقط من مناوئي الدّعوة، بل حتى من المنتسبين إليهَا ممن أخطأَ في فهم أُصولها، فحادَ عن الطّريقِ الحَقّ، وهذا خطؤُه أشدّ، وجُرمه أعظم؛ لأنّه يُقدِّم الدعوة السلفية على غير حقيقتها التي هي عليها، وأبرزُ تلك الأخطاء المنهجيّة ما يلي:

١- الرّميُ المطلق بالتكفير

فإنّ كثيرًا من النّاس يرمون السَّلفيّة بالتّكفير هكذا مطلقًا من أي قيدٍ يُفصّل ماهيّةَ هذا التكفير! وهذا قصورٌ معرفيّ وخللٌ منهجيّ في التّصوّر العام للتكفير؛ حتى يظنّ الظانّ أن التّكفير من خواصّ السّلفيّة، وهذا باطلٌ شرعًا وعقلًا وواقعًا؛ فإنّ التكفير إحدى القضايا المهمة في الدين الإسلامي وغيره من الأديان، بل حتّى في الأفكار المادية البَحتَة؛ فالكفر نقيضُ الإيمان، وكلُّ من لم يُؤمن بفكرة معينة فهو يكفرُ بها أي: يُنكرها، فمهمٌّ جدًّا أن نعرف أن التّكفير قضيةٌ شرعيّةٌ يحكم بها الشّرع؛ فاللهُ -سُبحانه وتعالى- فرّق بين المؤمنين والكُفّار في مواضع عديدَة في كتابه في مثل قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ٨٩)، وقال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٦-٥٧).

والآيات في هذا كثيرة جدًّا، وصريحة جدًّا في أنّ الناس ينقسمون إلى مسلمين وكفار؛ كما قال -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢).

تعريف التكفير

أما التّكفير وهو: الحُكم بالكفر بعد أن يدخُل الإنسان في الإسلام، فكما في قوله تعَالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦)؛ فالآيةُ واضحةٌ ووضوحًا بيّنًا في أن هناك من يكفرُ بعدَ الدُّخول في الدِّين، وهو يتحقّقُ في حالات دون حالات أخرى كما في الإكراه، فنفيُ وقوعَ الكفر مع الإكراه يؤكّد على وقوعه دون إكراه، وهو مما لا يختلف عليه طوائف المسلمين حتى المرجئة منهم؛ فإنهم يكفّرون بالتكذيب كما هو معروف؛ فالقولُ بأن السّلفية مكفّرة أو تكفيريُّون بالعُموم والإطلاق هو قولٌ غير علميّ وغيرُ منهجي وغير دقيق؛ فإنّ التكفير في نفسه ليس باطلًا بإطلاق كما بيَّنّا، ووصمُ منهج بأنّهُ تكفيريّ دون ذكر المسائل التي أخطأ فيها في التّكفير ليس من المنهجية العلميّة في شيء، بل من العجيب أنّ كُتُبَ بعض هؤلاء الشانئين على السلفيين مليئة بالتكفير، وبتكفيرِ أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على وجه الخصوص!

أنواع التّكفير

فالبحث العلمي يكونُ في أنواع التّكفير وليس في أصله، ومجرّدُ الوقوع في التكفير لا يعني أن ذلك يُعدُّ مثلبة؛ فإنّ التكفير حكمٌ شرعي كما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية؛ إذ يَقول: «فإن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقلّ بها العقل؛ فالكافر من جعله الله ورسوله كافرًا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقًا... والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله؛ فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع»، ويقول ابن الوزير اليماني: «التكفير سمعيٌ محضٌ، لا مدخل للعقل فيه».

فإن لم يكُن للعقلِ المجرّدِ مدخل في التكفير فكيف بهوى النفوس؟!

الارتهان إلى عقل الشافعي.. والفراغات الثلاثة

كتب: د. فهد العجلان (1)

بعث إليّ أحد الأصدقاء مقطعاً لأحد الأساتذة الجزائريين يتحدث فيه عن خطأ العقل المسلم المعاصر في الارتهان لعقل الشافعي، الذي كان خاضعاً لشروط عصره، ثم دعا إلى ضرورة استفزاز العقل لينهض من جديد فيحدث قولاً على قول، ويكون عقلاً حياً لا يبحث عن الإجابة من الأموات. سألني صاحبي: ما الإشكال في مثل هذا النقد، وما الخَلل في إثارة هذا التساؤل؟

هذا سؤال مشروع يا صاحبي، وهو معنى يتردد في أذهان بعض الشباب والفتيات، ولهم أن يعبروا عنه بوضوح، ومن حقهم أن يجدوا الجواب الشافي عنه، دعني فقط أعيد لك صياغة الإشكال بطريقة واضحة تحدد لك محل السؤال بدقة، حتى ندرك جوهر الإشكال بعيداً عن التمنيق اللفظي والإثارة العاطفية.

السؤال يقول: كيف نرتهن لعقلٍ عاش في زمان مختلف عن زماننا، لم يدرك ما تغير بعد عصره، فلماذا لا نجتهد نحن كما اجتهد، ونبحث عن الحلول من دون الارتهان لهذا العقل؟

من أقدم الإشكالات

النقطة الأولى التي يجب أن أضغط عليها في بدء مناقشة هذا الإشكال أنه من أقدم الإشكالات المثارة على الفكر الإسلامي؛ فهو اعتراض قديم ومشهور، وتكرر عرضه في حالتنا المعاصرة كثيراً، ونوقش كثيراً أيضاً، فشعور الشخص بحداثة مثل هذا الإشكال ناشئ من قصور اطلاع، ولا أقول هذا لأنتقص ممن يثير هذا الإشكال، وإنما هذا محفز لنا جميعاً ألا تستفزنا الإشكالات القديمة المستهلكة حين تقدم في خطاب إنشائي براق.

الخطاب العلماني المعاصر

هذا الإشكال أثير قديماً من الخطاب العلماني المعاصر، وكان يهدف أساساً إلى التشكيك في فهم النص الشرعي، فهم يقولون: هذا النص يفهم بناءً على أي طريقة؟ أنتم تريدون أن تخضعوننا لفهم أشخاص عاشوا وفق ظروف مختلفة عن زماننا، ولا يصح أن نحتكم إليهم في الفهم، وبناءً على ذلك فيجب أن نبتكر قواعد جديدة للفهم موافقة لعصرنا، وبطبيعة الحال فإن هذه القواعد ستكون قواعد موجهة تريد الوصول إلى نتائج محددة سلفاً، ولا تقوم على منهج علمي مستقيم، وإنما فتح النص لقبول التفسيرات كافة بلا منهج عقلاني ولا طريقة موضوعية.

من هنا نشأ هذا السؤال، وهذا من قبيل التوصيف العلمي للمقولات، وليس من قبيل الشتم أو التشويه لأي أحد، فهذا توصيف لحال هذه المقولة وكيف نشأت، ولا يعني أن كل من قالها يكون متبنياً للخطاب العلماني، ولا أن يوافقهم في الدافع والنتيجة، فهذه المقولة أخذت بعد ذلك تستعمل بمقاصد مختلفة.

تحليل المقولة

حسناً، دعونا نحلل هذه المقولة ونفكك مقدماتها ونغوص في عمقها قليلاً، وسنجد أنها قد قامت على ثلاثة فراغات كبيرة تسببت في تبني هذه المقولة أو التأثر بها، وإبراز هذه الفراغات كافٍ في تهاوي هذا الإشكال على رأسه:

الفراغ الأول

ما عقل الشافعي الذي نحن نرتهن إليه؟

قبل أن نتلقى هذا الإشكال يجب أن نسأل أصحابه هذا السؤال: عقل الشافعي الذي ترون أننا قد ارتهنا إليه، ما هو بالضبط؟

في الحقيقة أن هذا الإشكال يتحدث عن عقل الشافعي ولا يكاد ينطق بعد هذا بشيء حول المقصود بعقل الشافعي، وماذا يعني، والخطاب العلماني عندما ينص هنا على الشافعي هم فيه على مسلكين:

المسلك الأول

الذين يتحدثون عن عقل الشافعي وهم لا يعرفون عن الشافعي أي شيء يستحق الذكر، فالشافعي في الحقيقة عندهم هو مجرد (اسم رمزي) لعدم الاعتداد بأي تفسير للنص، فلو استبدلت الشافعي بأي إمام آخر من الائمة الأربعة، أو بأحد أعلام التابعين، أو بالمحققين بعد عصر الائمة، أو بأحد فقهاء الصحابة، أو جمعتهم كلهم، فالنتيجة لن تتغير، لأن القضية عند أصحاب هذا المسلك هي في ترك الرجوع لكل السابقين، وبناءً عليه

القضية عند أصحاب هذا المسلك هي في ترك الرجوع لكل السابقين، وبناء عليه فهو يأتي بالشافعي بوصفه اسما لا يعبر عن أي إضافة حقيقية.

فهو يأتي بالشافعي بوصفه اسما لا يعبر عن أي إضافة حقيقية.

المسلك الثاني

من يرى أن الشافعي قد أطّر العقل الفقهي وضيق حركة التفكير بوضعه لقواعد أصول الفقه، فيرى هنا أن الشافعي هو السبب لكونه هو الذي أنشأ هذه القواعد ثم تلقاها الناس من بعده، وهؤلاء يظنون أن الشافعي -لأنه أول من دوّن كتاباً في أصول الفقه- هو من وضع قواعد التفكير لفهم النص، ثم سار الناس عليها بعد ذلك، وأما العصر الذي قبل الشافعي فقد كانوا يفكرون بطريقة مختلفة!

فأنت هنا بين مسلَكَي تفكير، مسلكٌ لا يفقه عن الشافعي أي شيء يذكر وإنما يأتي به أنموذجاً يمكن أن تستبدل به اسماً آخر، ومسلكٌ يظن أن الشافعي هو من ابتكر قواعد الفهم فيجب بناءً على رأيهم ألاّ نخضع لقواعد الشافعي.

نقطة فراغ فاضحة

وكما ترى، فهذه نقطة فراغ فاضحة، تكشف عن جهل كبير بالشافعي، وجهل كبير بقواعد الأصول من قبله ومن بعده، والأعجب أن هذا جهل بقضايا بدهية يعرفها أدنى دارس للتراث الفقهي، فالشافعي لم يبتكر قواعد فهم النص، وإنما كانت هذه القواعد مقررة عند الصحابة رضي الله عنهم، وعند من بعدهم، وجاء الشافعي فكتب فيها، وبعض ما كتب هو من القضايا القطعية التي لا يختلف معه فيها أحد، وبعضها محل اجتهاد ونظر، فحصّنها العلماء من بعده، وناقشوها، وما يزال البحث فيها مستمراً.

فهم الدليل الشرعي

إذاً، فعقل الشافعي يتعلق بالنظر في كيفية فهم الدليل الشرعي، وهو سائر في هذا على منهج من قبله، وسار من بعده على المنهج ذاته: الاجتهاد في البحث عن دلالة الكتاب والسنة، والنظر في كيفية الترجيح بين الدلائل، وكيفية دفع التعارض بينها، وثم مساحة اجتهادية واسعة بينهم في هذا المنهج، لأن المقصود هو الكشف عن مراد الشارع، وهو محتمل للخلاف في مساحة كبيرة منه.

الذي حصل: أن الخطاب العلماني ضاق ذرعاً بهذا المنهج؛ لأنه يدور حول الدليل الشرعي، ويتضمن أصولاً وقطعيات محكمة، ولا ينسجم مع جملة من المفاهيم والتصورات الخاضعة لمرجعية الحداثة العلمانية المعاصرة، فجاء هذا الهجوم لإسقاط هذه الطريقة العلمية الموضوعية في النظر، لأجل استبدالها بمرجعية عبثية غير علمية.

الحديث عن المتغيرات

قد يقول شخص: لقد بعدت كثيراً، نحن لا نتحدث عن أصول الاستدلال وقواعد الفهم للنص، فهذه محل اتفاق، وليس هذا مما يعاب عليه الشافعي ولا غيره، إنما الحديث عن المتغيرات التي تنشأ في عصرنا مما لم يعرفه الشافعي.

حسناً، هذا يكشف عن مساحة جديدة من الفراغ في معرفة عقل الشافعي.

ما الذي وجدته يا صاحبي في عقل الشافعي جعلك تشعر بالقلق من هذا العقل حين يفكر في متغيرات عصرنا؟

لعلك تتوهم أن فقه الشافعي وعقله سيقودك إلى تحريم الصناعات والمكتشفات مثلاً، أو أنه سيزهدك في العلوم الحديثة ويمنعك من الاستفادة منها، أو سيفرض عليك إهمال ما في عصرك من ضرورات وحاجات مختلفة، أو أن الشافعي لن يراعي واقع المسلمين وطبيعة علاقاتهم مع الدول الأخرى؟!

هذا الإشكال لا يمكن أن ينشأ إلا في عقل شخص بعيد جداً عن فقه الشافعي وعقله، فهو يتوهم أن الشافعي لا يفقه المتغيرات، ولا يراعي الواقع، ولا يقدر أي شيء آخر، وإنما يضع أحكاماً كلية، ومتناً كاملاً ليحكم كل زمان ومكان بعقل منغلق لا يفكر في شيء آخر!

فقه الشافعي ونظره

الواقع أن في فقه الشافعي ونظره واستدلاله ما يعين أي باحث معاصر على كيفية التعامل مع المتغيرات المعاصرة، فالحق أننا بحاجة ماسة إلى عقل كمثل عقل هذا الإمام الكبير، حتى نقدم اجتهاداً قوياً يحافظ على أصول الشرع ويحقق مصالح الناس ويدفع الضرر عنهم، وتوهم أن عقل الشافعي يعني عدم الالتفات إلى متغيرات الواقع ومستجداته ومعطياته هو فراغ كبير نشأ بسبب ظلمة الجهل بمن هو الشافعي، عندنا إذن مجالان في عقل الشافعي:

المجال الأول

ما يتعلق بفهم الدليل وأصول الاستدلال التي لا يختلف فيها الشافعي عن غيره، فهذا لا يتأثر بتغير الزمان والمكان، ولا بشروط تاريخية في عصره ولا في تغير في عصرنا، ما الذي سيتغير مثلاً في قاعدة قبول خبر حديث النبي -ﷺ-؟ أو أن الأصل في النهي التحريم؟ أو أن الخصوص مقدم على العموم؟ أو أن المحرم يستباح عند الضرورة، أو في شروط النسخ؟

هذه قضايا كلية متعلقة بفهم النص، ليست مرتبطة بظرف زماني ولا بمتغيرات عارضة، بل هي بحث عن كيفية فهم مراد الشارع فهماً صحيحاً، وقد يقع خلاف بين العلماء في البحث عن الأصوب في ذلك، والمجال يتسع للنظر والترجيح وفق الشروط الموضوعية، ولا علاقة لتغير الزمان والمكان بهذا كله.

المجال الثاني

ما يتعلق بالاجتهاد المبني على واقع معين، روعي فيه مصالح أو مفاسد معينة، أو ما كان من قبيل الاجتهاد في اختيار الحكم الشرعي الأرجح، فهنا لا أحد يقول بلزوم اتباع رأي الشافعي ولا رأي غيره فيها، بل ولا الشافعي نفسه يقول إن قولي فيها ملزمٌ لكل أحد في كل زمان ومكان، فلا معنى لإضاعة الجهد في التفكير بمثل هذا.

أعرف أنك ستقول يا صاحبي:

نحن لا نريد هذا كله، إنما نريد نقد الخطاب الفقهي المعاصر بوجود أوجه قصور فيه، وأنه يحتاج إلى تجديد الحياة فيه.

وما دام هذا مقصودك فما حاجتك إذاً لأن تكرر تلك المقولات الحداثية ذات المضامين الباطلة، وأن تستند إليها في تسويغ مثل هذه الحاجة إلى التجديد!

بين المذهبية واللامذهبية

كتب: د. وليد بن إدريس المنيسي

للفقه طريقتان في دراسته، الطريقة الأولى دراسة المتون الفقهية المذهبية، ويمكن تسميتها طريقة الفقهاء، كأن يدرس الحنبلي في المرحلة الأولى متن العمدة لابن قدامة، أو أخصر المختصرات لابن بلبان، ثم ينتقل في المرحلة الثانية إلى متن زاد المستقنع لموسى الحجاوي، أو دليل الطالب لمرعي الكرمي، ثم ينتقل في المرحلة الثالثة إلى منتهى الإرادات لابن النجار الفتوحي، أو الإقناع لموسى الحجاوي، ثم ينتقل في المرحلة الرابعة إلى الكافي لابن قدامة، أو المحرر للمجد عبد السلام ابن تيمية الجد، وكذلك كل مذهب يتدرج فيه الطالب على حسب المنهجية المتبعة لدى شيوخ المذهب.

الطريقة الثانية دراسة الفقه من كتب الحديث، ويمكن تسميتها طريقة المحدثين، بأن يدرس الطالب كتب أحاديث الأحكام مثل: عمدة الأحكام للمقدسي، ثم بلوغ المرام لابن حجر، ثم المحرر لابن عبد الهادي، ثم المنتقى لعبد السلام ابن تيمية الجد، ثم كتب السنة كالصحيحين والسنن الأربعة مع شروحها.

الطريقة الأولى

من مزاياها أنها تخرج فقيها ضابطا للمسائل، مستحضرا لها، مستوعبا للفروع الفقهية جميعها، متدربا على حل عبارات الفقهاء الغامضة؛ بحيث يستطيع البحث بنفسه في كتب المذاهب، ويحسن الفهم والتصور للمسائل، متأدبا مع أهل العلم، ومن عيوبها قلة اطلاع المقتصر عليها على السنة المشرفة، وعدم إدراكه لوجوه الاستدلال، وقد يحصل له غلو في العلماء، وجمود على الرأي، وتضعف قدرته على الاستنباط فيما يستجد من المسائل.

الطريقة الثانية

من مزاياها عدم تعصب الطالب وجموده على قول وتعظيمه للسنة وتوسيع مداركه بدراسة ما في الأحاديث، من علوم حديثية، وتعرف على الرواة وما في الأحاديث من فوائد عقدية، وفي الآداب، والأخلاق، والسيرة وغيره، ومن عيوبها أن الفقه أدلته ليست السنة فقط، بل هناك آيات الأحكام، وهناك الإجماع والقياس، وعمل أهل المدينة، وعمل الصحابي، والمصالح المرسلة وغير ذلك؛ فيفوت الدارس كثير جدا من الفروع الفقهية في كل باب، لكونها لا تؤخذ مباشرة



الطالب مهما بلغ ذكاؤه وعلو همته، لا يستطيع أن يصير مجتهدا في كل مسألة يستوعب دراسة أدلتها حديثيًا ولغويًا وأصوليًا وفقهيًا؛ فلابد أن يحتاج إلى التقليد في كثير من المسائل

من الحديث؛ فمثلا عدد مسائل متن الزاد، وهو متن مختصر بالمنطوق ٢٤٠٠ مسألة وتصل إلى ٦٠٠٠ مسألة بالمنطوق والمفهوم.

كتب أحاديث الأحكام

بينما كتب أحاديث الأحكام مسائلها الفقهية لا تصل إلى ربع هذا العدد، وكذلك تؤدي أحيانا عند البدء بدراستها إلى اغترار الطالب وتطاوله على الفقهاء، ودخوله في الاجتهاد والترجيح بغير أهلية، وكذلك يتشتت الطالب لكونه يخرج من موضوع إلى موضوع ثان قبل إتمام الأول، وكذلك لكون المسألة الواحدة تكون مقسمة على أبواب عدة، ويتكرر الكلام عليها مع أحاديث عدة وليست مجموعة في مكان واحد.

الجمع بين الطريقتين

فلذلك الذي ينصح به، هو الجمع بين الطريقتين؛ فيدرس الفقه على أحد المذاهب الأربعة المتبوعة حسب المنهجية التي يرشده إليها شيخه مع دراسته لكتاب في آيات الأحكام، وآخر في أحاديث الأحكام، وحبذا الكتابان لمؤلفين من مذهبه الفقهي نفسه، حتى لا يتشتت بين ترجيحات متعارضة في المسائل الفقهية. والمذهبية هي انتساب الدارس إلى مذهب من الأربعة، يتدرج في دراسته على حسب المنهجية المتبعة لدى شيوخ المذهب، ثم المنتسب لمذهب قد يقتصر على الطريقة الأولى، لكن الموفقون منهم يجمعون الطريقتين، وأنصار اللامذهبية غالبا يقتصرون على الطريقة الثانية.

طريقة فقهاء الأمة

والانتساب إلى مذهب هو طريقة فقهاء الأمة؛ فابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب حنابلة، وابن كثير، والذهبي شافعية، والطحاوي حنفي، وابن عبد البر، مالكي، وهكذا منذ استقرار المذاهب، بل حتى قبلها كان فقهاء الصحابة لكل منهم طلابه، يشكلون مدرسة فقهية كانت هي نواة تكون المذاهب.

ثم إن الطالب مهما بلغ ذكاؤه وعلو همته، لا يستطيع أن يصير مجتهدا في كل مسألة يستوعب دراسة أدلتها حديثيًا ولغويًا وأصوليًا وفقهيًا؛ فلابد أن يحتاج إلى التقليد في كثير من المسائل؛ فانتسابه إلى مذهب يريحه ويكون مرجحا له عند تكافؤ الأدلة وعدم ظهور رجحان قول على قول فيقلد إمامه.

مهاجمة المذهبية

ولأن كل من هاجم المذهبية والتقليد من المعاصرين انتهى به الأمر إلى تقليد ابن باز، أو ابن عثيمين، أو الألباني، أو أمثالهم -رحمهم الله-؛ ففر من تقليد الأئمة الأربعة، ثم قلد من هو دونهم على جلالة قدرهم، ومن آفات اللامذهبية أنها تؤدي بأصحابها كثيرا إلى تبني القول الشاذ، وهو الذي ينفرد به آحاد من الفقهاء، سواء من فقهاء السلف، أو من فقهاء المذاهب.

بينما المذهبي عندما يتبنى القول المعتمد في أي مذهب من الأربعة؛ فإن القول المعتمد في المذهب لا يكون قولا شاذا أبدا؛ لأن كل مذهب لا يمثل إمامه فقط، بل يمثل مدرسة تضم عشرات الآلاف من الفقهاء على مر القرون، قد اعتمدوا هذا القول ورأوا رجحانه.

رئيس مجلس أمناء اتحاد علماء إفريقيا

رحلة من الكفاح والإصرار والجهاد العلمي

إعداد: وائل رمضان

رحلة من الكفاح والإصرار والجهاد العلمي والدعوي والإصرار على تحقيق الهدف، هذا أبسط ما يقال عن حياة د. محمد أحمد لوح التي بدأها في قرية توفيق بجوار مدينة طوبى التي ولد فيها بالسنغال ١٩٥٥م؛ حيث أكمل حفظ القرآن الكريم، ومبادئ الفقه المالكي، ومبادئ اللغة والأدب العربي في دار المعارف الإسلامية في طوبى، ثم انتقل إلى (سان لوي) (اندر) العاصمة الأولى لغرب إفريقيا؛ حيث تردد على عدد من حلقات العلم؛ فتعلم اللغة والأدب بعمق، كما درس المنطق، والبيان، والعروض، على يد عدد من شيوخ تلك المدينة، أبرزهم الشيخ أحمد جختي، وبعدها انطلق إلى العالمية من خلال التحاقه بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠١.

فرصة لملازمة المشايخ

يقول عن نفسه: أتيت من السنغال حاملًا شهادة ثانوية، لكن الجامعة ما كانت تعرف هذه الشهادة؛ فاضطُررت لإعادة الثانوية في الجامعة، وما ندمت على ذلك؛ لأني وجدت أن المواد كلها كانت سهلةً عليّ، ووجدت فرصةً لملازمة المشايخ في المسجد النبوي، واستفدت كثيرًا من فنون العلم قبل أن ألتحق بالكلية، زيادة إلى ما كانت عندي في بلدي قبل أن أصل إلى السعودية.

خروجي من بلدي

ويضيف، قصة خروجي من بلدي إلى المدينة النبوية، قصة طويلة، لعلنا لو بدأنا فيها ربما تستغرق البرنامج كله، درسنا اللغة العربية في بلادنا على طريقة الحلقات العلمية القديمة بعد حفظ القرآن الكريم، ومتون الفقه المالكي، وكتب اللغة، إلى كتب المعلقات السبعة، ومقامات الحريري إلى آخره.

الخروج لطلب العلم

ودرّست اللغة العربية خمس سنوات أيضًا، ثم طرأت لي فكرة ضرورة الخروج لطلب العلم في الخارج، وكانت وجهتي حقيقةً المدينة النبوية؛ ولما وصلت إلى المدينة النبوية، توجهت إلى الجامعة الإسلامية، ونزلت عند أحد السنغاليين الذين كانوا يدرسون في ذلك الوقت، وزرت مرافق الجامعة من المكتبة، وكنت مولعًا بقراءة الكتب؛ فأُعجبت؛ لأن أول مرة تقع عيني على مكتبة بهذا الحجم.

فكان في ذهني أنني حتى لو لم أُقبل بهذه الجامعة، وبقيت أقرأ في هذه المكتبة هذا يكفي؛ فقدّر الله أن زرت المرافق كلها والمكتبة، وحضرت بعض المحاضرات التي كانت تُلقى سنويًا في هذا الوقت.

جهد وعمل دؤوب

رافقت الإخوان إلى المطعم، ورأيت الجهد والعمل الدؤوب خلية متكاملة، الحركة بالسيارات بين المسجد النبوي وبين الجامعة، وكانت عندي من الأوراق جواز السفر، وإفادة بأني أحمل شهادةً ثانوية لم تخرج بعد؛ فكتبت قصيدةً في وصف ما رأيت في الجامعة، ووصف رحلتي من البلاد إلى أن وصلت.

مقابلة نائب رئيس الجامعة

ثم جئت إلى الشيخ عبد الله زائد -رحمه الله- كان هو نائب رئيس الجامعة في ذلك الوقت، وكان الرئيس هو الشيخ عبد العزيز



دراستي من بدايتها إلى نهايتها كلها بتقدير ممتاز، لم أخرج عن هذه المراتب الثلاثة طيلة دراستي في الثانوية وفي الكلية، ولله الحمد والمنة

الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية) بنت الجامعة الإسلامية بكل المقاييس، حتى المنهج التعليمي في هذه الكلية مُستفاد من منهج الجامعة الإسلامية لأكثر من ثمانين بالمائة من هذا المنهج

بن باز؛ فألقيت القصيدة عليه، وكانت قصيدة طويلة؛ فلما انتهيت، قال لي: أنت قلت هذه القصيدة؟ قلت: نعم، كتبتها اليوم، وكانت فعلًا في اليوم نفسه.

فقال: ماذا تريد؟ قلت: أنا أريد القبول في الجامعة للدراسة، قال: ماذا عندك من شهادات؟ قلت: عندي شهادة ثانوية نجحت فيها، لكن الشهادة لم تخرج، قال: أنت مستواك فوق الثانوية، قلت: لا، أبدًا، أنا عندي شهادة ثانوية؛ لأني درست في الحلقات العلمية، وهذه الحلقات الطالب قد يتفوق فيها، لكن ليس عنده شهادة.

يُقبل بلا قيد ولا شرط

أخذ هذه الأوراق وكتب خلفها: هذا الطالب يُقبل بلا قيد ولا شرط؛ لما ذهبت إلى شؤون القبول استغربوا هذا الشيء، وكان على الطالب الذي يُقبل بهذه الطريقة لم يُقبل من بلده لابد أن يخرج من المملكة، حتى يأخذ تأشيرة مرة أخرى؛ لأن يأتي إلى المدينة لمواصلة دراسته؛ فقال لي: اختر أي بلد تخرج إليه، فعلًا، سافرت إلى الأردن وبقيت هناك ثلاثة أيام، وأُرسلت التأشيرة ورجعت إلى المدينة، وبدأت الدراسة والحمد لله.

تقدير ممتاز

ولله الحمد، دراستي من بدايتها إلى نهايتها كلها بتقدير ممتاز، وفي معظم الأيام أطلع رقم واحد، قد يكون اثنين، قد يكون ثلاث، لكني لم أخرج عن هذه المراتب الثلاثة طيلة دراستي في الثانوية وفي الكلية، ولله الحمد والمنة، ثم تخرجت، ناقشت رسالة الدكتوراه في ١٤١٦،



وسافرت مباشرة إلى البلاد.

البقاء ببلدي

ولله الحمد كنت مصممًا على أن أبقى في بلدي، وأن يكون لي عمل في مجال نشر العلم الذي تعلمته، جاءتني عروض من أكثر من جامعة من الجامعات الخليجية، للتعليم فيها، لكنني قدمت إليهم اعتذارًا، وبقيت هناك أدرّس على طريقة الحلقات، لمدة خمس سنوات وأنا أسهم في صناعة منهج للتعليم العالي؛ لأن التعليم العالي الإسلامي، لم يكن في بلدي على الإطلاق.

الكلية الإفريقية

وفقني الله واستأجرت مكانًا، وقبلت ثلاثين من الطلاب، وجاء معي مجموعة من المشايخ الذين

كل أمة لا بد لها من مشروع في كل قرن، وأنا لا أشك، ولا أتردد أن مشروع الأمة الإسلامية في القرن الماضي هو الجامعة الإسلامية

يعملون في سلك التعليم، ومعظمهم من خريجي الجامعة الإسلامية، أو الجامعات السعودية؛ فكان فوجًا تجريبيًا لهذه الكلية التي أسميناها (الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية)، وهي في الحقيقة بنت الجامعة الإسلامية بكل المقاييس، حتى المنهج التعليمي في هذه الكلية مُستفاد من منهج الجامعة الإسلامية لأكثر من ثمانين بالمائة من هذا المنهج.

التعليم العربي

فلله الحمد الكلية الآن بعد سبعة عشر عامًا من إنشائها، خرجت أجيالًا، هم يمسكون في الوقت الحاضر التعليم العربي في المدارس الحكومية، حتى هيئة الموجهين والمفتشين في هذه المدارس، عدد كبير منهم من خريجي هذه الكلية، والآن نقوم على مشروع جامعة تتحول إليها هذه الكلية بتخصصاتها، والجامعة ستكون من خمس كليات، ولله الحمد، الدولة -جزاها الله خيرًا- أعطتني أرضًا في العاصمة الجديدة، مساحتها سبعين ألف متر مربع، إن شاء الله نحن مقبلون على إنجاز هذا العمل.

الجامعة الإسلامية

أما الجامعة الإسلامية، في الحقيقة أنا أقول: كل أمة لا بد لها من مشروع في كل قرن، وأنا لا أشك، ولا أتردد أن مشروع الأمة الإسلامية في القرن الماضي هو الجامعة الإسلامية.

هذه الجامعة بآثارها وخريجيها، أينما وجدتهم في العالم، تجد أنهم هم الذين يمثلون الحركة العلمية في البلد، ولاسيما المنهج الوسطي، الذي يعلم الجميع أنه يمشي وفق الكتاب والسنة، على فهم سلفنا الصالح.

الحركة العلمية الوسطية

أينما حللت أجد خريجي الجامعة الإسلامية هم الذين يمسكون الحركة العلمية الوسطية، التي يلتف حولهم بسببها شعوبهم، ويستفيدون منهم علميًا، وتربويًا، وسلوكيًا؛ فأصبحت سمعة الجامعة في العالم فوق ما يتصوره الناس هنا في المدينة.

حقيقةً، الجامعة مشروع هذه الأمة في القرن الماضي، ونرجو أن تكون هناك مشاريع أخرى لهذه الأمة في المستقبل -إن شاء الله.

الشتاء يذكرنا

كتبه: إيهاب الشريف

أقبل الشتاء واستعد الناس له استعدادات شتى، وكلها تنصب على أمر الجسد وإصلاح الدنيا، وهناك مَن يذكره الشتاء -مع استعداده أيضًا كهؤلاء- بمعانٍ أخرى ربما غفل أكثر الناس عنها؛ فالشتاء فرصة للمؤمن للاستزادة مِن الطاعات لسهولتها ويسرها.

فمن ذلك الصيام: كما في قولهﷺ: «(الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ» (رواه أحمد، وصححه الألباني)، أي غنيمة تُنال دون مشقة وتعب، تنال صفوًا بغير كلفة؛ وذلك لقصر نهار الشتاء وذهاب الحر.

كذلك القيام: إذ يطول ليل الشتاء؛ فتأخذ النفس حظها مِن النوم، ثم يدرك العبد ورده مِن القرآن والقيام؛ فيحصل مصلحة دينه، وراحة بدنه.

وكان ابن مسعودرضي الله عنه يقول: «مرحبًا بالشتاء، تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام»، وقال الحسن -رحمه الله-: «نعم زمان المؤمن الشتاء؛ ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه»، وبكى معاذ -رضي الله عنه- عند الموت وقال: «إنما أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء». هذا وربما تضاعف ثواب العبد على قيامه بالشتاء لمشقة ذلك عليه كما في الحديث:

«رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي: يَقُومُ أَحَدُهُمَا بِاللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطُّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقَدُهُ، فَيَتَوَضَّأُ؛ فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَيَقُولُ اللهُ -عز وجل- لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي مَا سَأَلَنِي عَبْدِي فَهُوَ لَهُ» (رواه أحمد وابن حبان، وحسنه الألباني).

فالله -عز وجل- يقول للذين وراء الحجاب: «انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي مَا سَأَلَنِي عَبْدِي فَهُوَ لَهُ»! أرأيتم كيف كانت هذه العبادة مدعاة لمباهاة الملائكة بالعبد؟!

وإذا كانت هذه المعالجة والقيام مِن الفراش، ثم الوضوء، تشق على العبد في الصيف؛ فإنها تتضاعف في الشتاء، وهذا مدعاة لعظم الأجر؛ إذ الأجر على قدر المشقة، ولعظم أجر إسباغ الوضوء على المكاره وجدنا الملأ الأعلى يختصمون فيه كما في الحديث: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لَا أَدْرِي؛ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ؛ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، وَفِي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

ومِن الأعمال التي تشتد الحاجة إليها في الشتاء كذلك: الصدقة، ولاسيما على الفقراء الذين لا يجدون ما يدفعون به عن أنفسهم برد الشتاء مِن ثياب وكساء، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وأخيرًا: فالشتاء وشدة برده تذكرنا بنار جهنم، كما في الحديث أن النار اشتكتْ إلى ربها: «فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ؛ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» (متفق عليه). نسأل الله المعونة على طاعته، قال ابن رجب -رحمه الله-: «يا مَن تُتلى عليه أوصاف جهنم، ويشاهد تنفسها كل عام حتى يحس به ويتألم، وهو مصر على ما يقتضي دخولها مع أنه يعلم، ستعلم إذا جيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام مَن يندم، ألك صبر على سعيرها وزمهريرها؟! قل وتكلم!».

نعوذ بالله مِن النار، وما قرب إليها مِن قولٍ وعملٍ.



لا تخسر ابنك كإنسان..!!

كتب: وائل رمضان

من سعادة الدنيا والآخرة صلاح الأبناء؛ فالولد الصالح خيرُ كنز يحصل عليه الأبوان في حياتهما، وخيرُ كنز يتركانه بعد مماتهما، ومن الملمَّات التي ألَمّت ببعض الأسر المتدينة عدم التزام أبنائهم؛ حيث خالفت آمالهم وتوقعاتهم في هؤلاء الأبناء، الواقع الذي هم عليه؛ فوجد هؤلاء الآباء أنهم قد أخرجوا جيلاً سلك سُبلاً أخرى غير الالتزام بالشرع، جيلاً متمردًا على توريث الالتزام، رافعًا شعار: لن أعيش في جلباب أبي!

وليس موضوعنا مناقشة هذه القضية وأبعادها وأسبابها؛ فالأمر يطول، إلا أننا نقف عند معنىً وبُعْدًا آخر منها، أثاره د. أحمد خليل خيرالله في حواري معه عن هذا الموضوع؛ حيث قال لي: «إذا خسر الأب ابنه بوصفه متديناً؛ فلا يجب أن يخسره بوصفه إنسانا»، استوقفني هذا المعنى كثيرًا، ووجدت أنَّ فئةً ممن ابتلوا بهذا الأمر في حاجة إلى أن يصل إليهم هذا المفهوم.

فمن الأخطاء الكبيرة التي يقع فيها بعض الآباء، سوء العلاقة بينهم وبين أبنائهم؛ بسبب انحراف هؤلاء الأبناء عن المسار الذي خططوا لهم أن يسيروا فيه، ولا شك أن فساد هذه العلاقة ينذر بخطر كبير، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية إلى زيادة انحراف الأبناء وانفلات أمرهم؛ فيخسرون دينهم ودنياهم.

ولا شك أن الحفاظ على علاقة إيجابية بين الآباء والأبناء، لابد أن يكون هدفا رئيسا لكل أب، كما يؤكد د. مصطفى أبو السعد أن ٧٠٪ من التربية يقوم على العلاقة الإيجابية بين الآباء والأبناء؛ فالتربية حب، والحب يصنع المعجزات، الحب يصنع ما لا يصنعه العقاب ولا الضرب ولا العنف.

ولنا في نبي الله نوح -عليه السلام- عبرة وعظة؛ فانظر إلى ندائه الرقيق لابنه في المشهد الأخير قبل أن يبتلعه الطوفان، لقد أدرك -عليه السلام- الخطر العظيم المحدق بابنه في هذه اللحظة الحرجة التي تفصل بينه وبين الجنة أو النار؛ فناداه بأرق عبارة نداء المشفق المحب؛ فقال: ﴿يا بني﴾! أراد -عليه السلام- أن يلين قلبه وأن يُذَكِّره بأبوته التي لن يأتيه منها إلا كل خير، ثم إنه لم يَدْعُهُ في هذا الموقف بنداء الإيمان، خوفًا منه -عليه السلام- أن يأتي جواب ابنه بالإعراض عن الهدى، كما كان يعرض طوال السنين الماضية؛ فيُخْتَم له بالكفر، لكنه عدل عن ذلك إلى قوله: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾، يعني لا أريد منك الآن سوى الركوب لتنجو من الغرق، ثم يقول: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾(هود: الآية٤٢)؛ فلم يقل: (ولا تكن من الكافرين)، كي لا يكون عونًا للشيطان عليه؛ فيزداد عتوا ونفورًا.

فأعد النظر مليًا في هذا الموقف النبوي، وقارنه بأولئك الذين يبادرون إلى طرد أبنائهم، ولعنتهم عند حدوث أي خطب، لا يقارن بما أحدثه ابن نوح -عليه السلام-

وكثيرٌ من المربين يهتمون بالتقويم، والاستقامة، والأمر بالصواب، والعقاب على الخطأ، وغيره من الممارسات التربوية المعروفة، لكن قليلاً منهم من يرعى اهتمامًا بالحاجات النفسية في التربية على الرغم من أهميتها الكبيرة، كأساس للعملية التربوية برمتها.

وقد حثّ رسول اللهﷺ على الرفق في الأمر كله؛ فقال: «إن الله يحب الرفقَ في الأمر كله»(رواه البخاري)، ولا شك أن من أعظم الأمور التي تحتاج إلى اللين والرفق تربيةَ الأبناء؛ إذ هم بَضْعةٌ منك، والرفق واللين لا يعني التفريط فيما إذا فعلوا شيئًا مما حرَّمه الله -تعالى-، ولكنه يعني الحكمة والحنكة في التعامل مع هذا التفريط وهذه الأخطاء.

من هنا؛ فإن على الآباء أن يتفطنوا لذلك، ويدفعوا أكبر المفسدتين بتحمل أدناهما؛ فبعض الشرّ أهون من بعض، بل إن الأب لو شعر أن زيادة إنكاره أو نصحه لابنه سيؤدي إلى زيادة تمرده وعصيانه؛ فعليه أن يخفف من ذلك، ويتحين الفرص المناسبة ويسدد ويقارب، وهذا ما فعله نوح -عليه السلام-؛ فقد علم أن غرق ابنه على الكفر أكبر مفسدة يقع فيها الابن، فسعى لإنقاذه من الغرق بركوبه معه ولو كان على الكفر؛ فبنجاته من الغرق يبقى الأمل موجودًا في إيمانه وصلاح شأنه.

هذا هو مقتضى الحكمة في مثل هذه المواقف، أن تكسب ابنك وتُبقي بينك وبينه مساحة كبيرة من الود والاحترام والعلاقة الإيجابية، خيرٌ من أن تخسر ذلك جميعًا، وما سوى ذلك فليس من الحكمة والعقل في شيء.





أدب الحوار

كتبه: م. سامح بسيوني (١)

لا يخلو الإنسان في حياته من الحاجة إلى الحوار وآدابه؛ فالإنسان في علاقة دائمة ومستمرة مع المجتمع والناس مِن حوله، يحاورهم ويناقشهم ويتفاوض معهم؛ فالحوار في حقيقتِه مراجعةُ الكلام وتداوله بيْن طرفين أو أكثر بقصد الوصول إلى الحق وإثباته أو رد الفاسد مِن القول ودفع شبهته، بطريقة يغلب عليها الهدوء والتجانس والتفاهم؛ بخلاف الجدال الذي يدل على المخاصمة والمنازعة؛ ولذلكَ قال الله -تعالى- في سورة النحل: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

لذا فإن كل باحثٍ عن الحق، وكل داعية إلى الله، بل وكل صديق مع صديقه أو أخ مع أخيه أو فرد مع أسرته -ولا سيما في تلك الأوقات التي زادت فيها حدة الاستقطاب والاعتداد بالرأي- يحتاج بلا شك إلى معرفة آداب الحوار الواجب اتباعها حتى لا يخرج الحوار عن هدفه فيتحول إلى جدالٍ يؤدي للمخاصمة والمنازعة، ومِن تلك الآداب التي يجب توفرها في الحوار:

١- الإخلاص والإنصاف عند المحاورة

لابد أن يتصف المحاور بالإخلاص، وأن يقصد بحواره الوصول للحق ابتغاء مرضاة الله وحده، ويظهر أثر ذلك الإخلاص عند حواره مع غيره في إنصافه لمخالفه في نقاط حواره الصحيحة وعدم قصد الانتصار للنفس؛ حيث تظهر صور انتصار المحاور لنفسه غالبًا في العلو على المحاورين الآخرين مع استعراض القوة في الكلام وعلو الصوت، والتعصب في طرح وجهة النظر في محاولةٍ لإثبات صحة رأيه أو رأي شيخه أو مذهبه أو طائفته أو حزبه أو جماعته على رأي غيره، مع الغفلة عن أن ظهور الحق على يديه أو على يد صاحبه خيرٌ للجميع وفضلٌ عليه من الله -تعالى.

توجيه قرآني

وقد وجهنا الله -تعالى- في كتابه الكريم إلى ضرورة التمثُّل بالإنصاف في الحوار، وإن كان معك الحق المطلق كما ذُكر في بيان حوار النبي -صلى الله عليه وسلم- مع المشركين في قوله -تعالى-: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (سبأ:٢٤)، قال البيضاوي في تفسيره: «(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ): بأنه في صورة الإنصاف المُسكت للخصم المشاغب».

فإن كان هذا في الحق الواضح بلا خلافٍ بيْن المسلمين والكافرين، فما بالنا إن كان الأمر اجتهاديًا بيْن المسلمين؟! فلا يُقال: نحن على حق وأنتم على باطلٍ مِن أول الحوار؛ لأنه حينئذٍ لن يجدي النقاش؛ إذ إن كلًا مِن الطرفين سيتعصب لرأيه، ويدعي أنه وحده على الحق، ولن يسعى حينئذٍ إلى تفهم وجهة نظر الآخر.

> **إن لم يكن الإنسان ذا علم بما يحاور مِن أجله؛ فهو بذلك مذموم عند الله، ولا يجوز له أن يدخل في الحوار حتى لا يفسد مِن حيث أراد الإصلاح**

التقرب إلى الله

وقال الجويني -رحمه الله-: «فأول شيءٍ على المناظِر أن يقصد التقرب إلى الله -سبحانه-، ويطلب مرضاته في امتثال أمره -سبحانه وتعالى- فيما أمر به مِن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الحق، ويتقي الله أن يقصد بنظره أو بمناظرته المباهاة وطلب الجاه، والمماراة والرياء، ويحذر أليم عقاب الله، ولا يكون قصده الظفر بالخصم، والسرور بالغلبة والقهر».

تجرد الشافعي

وقال الشافعي -رحمه الله-: «ما ناظرتُ أحدًا قط على الغلبة». أي: ما دخلتُ في نقاش مع أحد قط ونيتي أن أغلبه فقط إنما للوصول إلى الحق مني أو منه، بل كان مِن إخلاص الشافعي -رحمه الله-

الحوار في حقيقته مراجعة الكلام وتداوله بيْن طرفين أو أكثر بقصد الوصول إلى الحق وإثباته أو رد الفاسد مِن القول ودفع شبهته

قوله: «ما ناظرتُ أحدًا قط فأحببتُ أن يخطئ».

وقوله -أيضًا-: «ما كلمتُ أحدًا إلا أحببتُ أن يوفَّق ويُسدد ويعان، وما كلمتُ أحدًا قط إلا ولم أبالِ بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه»، وهذا تجرد صعب، لكن مَن أراده، وفقه الله -تعالى- إليه وأعانه عليه.

وقد رُوي في ذلك ما كان بيْن الشافعي وإسحق بن راهويه -رحمهما الله-، فقد روى الحازمي بإسناده عن أبي الشيخ الحافظ، أنه قال: «حُكي أن إسحق بن راهويه ناظر الشافعي -وأحمد بن حنبل حاضر- في جلود الميتة إذا دبغت، فقال الشافعي: دباغها طهورها. فقال له إسحق: ما الدليل؟ فقال: حديث الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن ميمونة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «هَلَّا انْتَفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا» (متفق عليه)». فقال له إسحاق: حديث ابن عكيم: أَتَانَا كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَنْ لَا تَنْتَفِعُوا مِنَ المَيْتَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ» (رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني)، فهذا يشبه أن يكون ناسخًا لحديث ميمونة؛ لأنه قبْل موته بشهر.

فقال الشافعي: فهذا كتاب، وذاك سماع.

فقال إسحق: فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- كتب إلى كسرى وقيصر، فكانت حجة بينهم عند الله، فسكت الشافعي. فلما سمع (ذلك) أحمد ذهب إلى حديث (ابن) عكيم، وأفتى به، ورجع إسحق إلى حديث الشافعي».

٢- الإلمام بالمَسْألة المتحاور فيها

قبْل الدخول في الحوار يجب أن يكون المتحاور على علم بالمسألة التي سيكون الحوار عنها؛ لأنَّه إن لم يكن الإنسان ذا علم بما يحاور مِن أجله؛ فهو بذلك مذمومٌ عند الله، ولا يجوز له أن يدخل في الحوار أصلًا حتى لا يفسد مِن حيث أراد الإصلاح، فقد قال -تعالى-: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف:١٠٨)، فجعل البصيرة شرطًا في الدعوة إلى الله -تعالى-، والحوار مِن أعظم أساليب الدعوة، وهو مِن سبل الأنبياء وأتباعهم في تبليغ الحق الذي معهم.

وذم -سبحانه وتعالى- أقوامًا يجادلون بغير علم، وجعل ذلك في حقيقته اتباعا للشيطان، فقال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) (الحج:٣).

- وذم كذلك أهل الكتاب في محاجتهم فيما ليس لهم به علم، فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:٦٦).

يفسد أكثر مما يصلح

فحين يدخل بعض الناس في حواراتٍ دون علم أو إعدادٍ -وإن كان معه الحق-، فإنه يفسد أكثر مما يصلح؛ لأنه: إما أن ينزلق للإفتاء أو الكلام بغير علم، فيكون بذلك ممَن يدعو إلى هواه ورأيه وشيطانه، وتلك مصيبة كبرى فيكون حاله كحال مَن قال الله في حقهم: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (الجاثية:٢٣).

ظهور صاحب الباطل

أو يكون ذلك سببًا في ظهور صاحب الباطل عليه؛ لضعف حجته، فيُلبس صاحب الباطل بذلك على الناس في ترويج باطله؛ لذلك فالواجب على المحاور أن يكون على علم إجمالي وتفصيلي بما يحاور فيه؛ لا سيما إن كان مِن شرع الله المطهر كتابًا وسنةً، وكذلك العلم بالواقع الذي يتعلق بموضوع الحوار والنقاش إجمالًا وتفصيلًا حتى يكون على هدى مِن أمره، ومقنعًا لغيره بما لديه مِن حق.



علم الجهل والتجهيل

كتبه: جهاد العايش (٢)

استكمالا لما بدأنا الحديث عنه عن علم الجهل والتجهيل؛ حيث قلنا إن منهج التربية الإسلامية ينبغي أن يكون متكاملاً للفرد المسلم، فيعرف فيه معاني كلام الله -تعالى-، ومعاني حديث رسول اللهﷺ، وكذلك ينبغي أن يلم بتأريخه الإسلامي، وينبغي أن يكون واعياً لما يدبّره أعداء الإسلام من كيد للمسلمين، والذين يغفلون الجانب الأخير من جوانب التربية وهو تربية الفرد المسلم على الوعي، وعلى ضرورة تتبّع مخططات أعداء الإسلام، يخسرون كثيراً؛ لأنهم سيعيشون في زاوية مظلمة لا يشعرون بما يُحاك حولهم، وهذا المعنى مهم، ورسول الله كان حريصاً على تربية أصحابه -رضوان الله عليهم- على ذلك، وكان القرآن ينزل على رسول الله مبيناً خطط المنافقين وكيد أعداء الدين؛ من هذا المنطلق فإن هذا المقال يتناول هذا الجانب وهو بعنوان علم الجهل.

٣- وأما زمن انتشار الأحاديث الموضوعة فلون من ألوان انتشار التجهيل المدروس؛ ليأكلوا به ثمنا قليلا، وليروجوا بضاعتهم على لسان النبي كذبا وزورا، كقولهم في أحاديث موضوعة: «من استعنب فليستبطخ»؛ أي من أكل العنب فليأكل البطيخ، ليستكثروا من بيع البطيخ بعد كساده، وحديث موضوع آخر مروي كذبا وزورا عن النبي يمتدح فيه العدس «عَلَيْكُمْ بِالْعَدَسِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ»، «وَعَلَيْكُمْ بِالْعَدَسِ فَإِنَّهُ قُدِّسَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا» وحديث آخر أن النبي شكى لجبريل ضعفا به فقال له جبريل «أَيْنَ أَنْتَ عَنْ أَكْلِ الْهَرِيسَةِ»؟

أما في زماننا المعاصر فتعقد صفقة لا يتصورها بشر لشراء تطبيق لم يكلف مؤسسيه مليون دولار إلا أن شركة الفيس بوك تتقدم بشراء الواتس آب في ١٩ فبراير من العام ٢٠١٤ بمبلغ ١٩ مليار دولار أمريكي.

ليس قيمة للتطبيق بل لما يحويه من رسائل يومية وصلت إلى ٢٧ مليار رسالة هي بمثابة كنز معلومات خطير يحمل في طياته المعلومات المكتوبة أو المصورة والصورة المتحركة والوثائق الأخرى بأنواعها.

فالمعرفة والمعلومة قوّة وسلاح يتنافس عليه كل من يدرك أهميته، ولا تقل أهميته عن المال والعتاد العسكري؛ ولأنها و بهذه الأهمية، هناك من يحاول الاستئثار بها لنفسه، ويقاتل دونها، وينفقون لأجل الحصول عليها ملايين الدولارات؛ فلك أن تتأمل عمل مؤسسات استطلاع الرأي بوصفها أداة مهمَّة لا يستغني عنها صنَّاع القرار للتعرف من خلال الإحصاءات والاستبانات و بأنواعها على ميول اتجاهات الرأي العام حول قضية ما، أو للتَّنبُّؤ واستشراف بعض الأحداث المستقبلية.

لهذا حرصت كل القوى والدول الواعية على تأسيس هيئات (إدارة الفهم) في الأوساط السياسية.

كل ذلك من أجل التأثير على تفكير الجمهور والحصول على نتائج يستفيد منها أصحاب المصالح من خلال:

١- التحكم في المعلومات ونوعها وحجمها.

٢- التحكم في المزاج العام للشعوب والعبث بمشاعرهم وعواطفهم لتمرير سياسات وقرارات مدروسة سلفا.

٣- إقناع الناس أن ما لديهم من قناعات ومعلومات تم ترسيخها هي الحقيقة المطلقة التي لا محيد عنها ليصلوا إلى مرحلة التدجين المطلق والاعتقاد بأن قناعاتهم دين قويم.

أركان علم الجهل أو كيف يمارس التجهيل

بعض الأركان تم الكتابة فيه من قبل مؤسسي العلم، وبعض الأركان الأخرى تم تلمسها من الواقع بعد التأمل واستدامة النظر وبعضها كتبها قومها وهي ما ذكرها نعومي.

١- إثارة الشكوك: ضرب مصداقية المعلومات،ويكيليكس أنموذجا.

٢- التخويف والتهويل.

٣- مرحلة صناعة الحيرة: ومنها بعض البرامج الحوارية المتلفزة التي لا يخرج فيها منتصر.

٤- تحييد التفكير:والاكتفاء بالتلقين والتعامل مع الناس وكبار السن كأنهم أطفال.

٥- صنع عداء أو أعداء وهميين أو غير متقدمين في الأولوية.

انتشار الأحاديث الموضوعة لون من ألوان انتشار التجهيل المدروس؛ ليأكلوا به ثمنا قليلا، وليروجوا بضاعتهم على لسان النبي كذبا وزورا

٦- تقديس الأشخاص: عالم، مفكر، سياسي، ممثل، إعلامي وأنه قدوة يحتذى به.

٧- صناعة القوالب حتى لا تخرج عن السياق وعدم الخروج عن رأي المذهب أو تقديس الدساتير الوضعية.

٨- تفريغ المحتوى من خلال تعظيم الإنجازات والمحتوى في حقيقته فارغ.

وثيقة في غاية الخطورة

يكشف عالم الإنسانيات والألسن المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي في مقال له بعنوان: (استراتيجيات التحكّم والتوجيه العشر) وثيقة سريّة للغاية يعود تاريخها إلى عام ١٩٧٩، وتمّ العثور عليها سنة ١٩٨٦ عن طريق الصدفة، و عنوانها مثير للغاية (الأسلحة الصّامتة لخوض حرب هادئة)، وهي مذكرة صاغوها بعناية للتحكّم في البشر وتدجين المجتمعات والسيطرة على المقدّرات ليسهل عليهم قيادتها، وجاءت المذكرة بالعناصر العشرة الرئيسة التالية، ننقلها باختصار:

١- استراتيجية الإلهاء والتسلية.

٢- استراتيجيّة افتعال الأزمات والمشكلات وتقديم الحلول.

٣- استراتيجية التدرّج لضمان قبول ما لا يمكن قبوله.

٤- استراتيجية التأجيل.

٥- مخاطبة الجمهور على أنّهم قصّر أو أطفال في سنّ ما قبل البلوغ.

٦- مخاطبة العاطفة وقتل ملكة النقد.

٧- إغراق الجمهور في الجهل والغباء.

٨- تشجيع الجمهور على استحسان الرداءة.

٩- تشجيع العامّة على أن تنظر بعين الرضا إلى كونها غبيّة و مبتذلة.

١٠- معرفة الأفراد أكثر من معرفتهم لذواتهم.

الحل

١- التمرد على الجهل وإحياء مشروع اقرأ والمهم أن ندرك جيدا ماذا نقرأ.

٢- البحث عن الدليل(الوحيين الكتاب والسنة) والحقيقة وما قاربها، لا تكن إمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن اساؤوا أسأت، وكما يسميه علماء النفس (الجهل الجمعي).

٣- محاربة البدعة ومن أحياها مثل مشروع إحياء الصوفية من جديد والفرق الباطنية الأخرى.

٤- إعمال العقل فيما لا نص فيه والتسليم والإذعان فيما فيه نص.

٥- عدم الاستسلام لما تطبعت عليه الجماهير والحالة العامة ليست دليلا على صحة المبدأ. قال -تعالى-: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}، وقال -تعالى-: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (١١٦)

٦- الحذر الحذر من الإعلام وعدم تمكين عقلك وعقل من كانوا تحت ولايتك له.

سمات المنهج العلمي للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله

كتب: الشيخ فتحي الموصلي

الأولى: الدقة في الاستدلال.

الثانية: القوة في الاستنباط.

الثالثة: الإتقان في ترتيب الأبواب.

الرابعة: الاعتناء بمسائل الأصول والاعتقاد.

الخامسة: الاتصاف بفقه المسائل.

السادسة: الاختصار من غير إخلال.

السابعة: الإشارة إلى مسالك الآداب والأخلاق.

الثامنة: الدقة في عرض المسائل والأبحاث.

التاسعة: إظهار التلازم بين المعاني والأقوال.

العاشرة: الاعتناء بالفروق والتقسيمات.

الحادية عشر: تجريد المباحث عن الجدل وعلم الكلام.

الثانية عشر: ذكر منشأ الفساد والانحراف.

الثالثة عشر: التنويه بالأسباب الموصلة إلى تحقيق التوحيد والإيمان.

الرابعة عشر: الاعتماد على النقل والعقل في تقرير موارد النزاع والوفاق.

الخامسة عشر: اتباع طريقة القرآن في المناظرة والاحتجاج.

السادسة عشر: الاعتناء بفقه الحقوق وترتيب الأصول والواجبات.

السابعة عشر: استخراج أحكام المسائل والمقاصد، والاعتناء بمباحث الأسباب والمكملات.

الثامنة عشر: ربط مسائل الاعتقاد بالعلل والأحكام.

التاسعة عشر: الاعتناء بفقه التدرج ومراعاة الحال.

العشرون: الاعتدال في الأحكام، والاقتصاد بالأوصاف، والكلام في المخالفة أصلاً وفي المخالف تبعاً.

الواحدة والعشرون: تقريب مسائل الاعتقاد والتمثيل لها بأيسر خطاب.

الثانية والعشرون: تقعيد مباحث الاعتقاد بالجمل الجامعة، وتأصيل كليات الدين بالأدلة القاطعة.

الثالثة والعشرون: إعمال قاعدة سد الذرائع في موارد الحفاظ على أصول الإسلام والإيمان.

الرابعة والعشرون: فقه المقابلة بين الإثبات والنفي، وبين الأمر والنهي، وبين الإقبال والإعراض في غالب مسائل العلم والاعتقاد.

الخامسة والعشرون: نصح الأمة بالخصال الجامعة: الاعتصام بالقرآن والسنة، والاجتماع واتحاد الكلمة، والاهتداء بطريق أهل العلم والدعوة.

فهذه أصول كلية وخصال علمية للإمام المجدد ظاهرة في كتبه ومؤلفاته ورسائله.

نحو ثقافة دينية رشيدة في زمن الشبهات والفتن (٣)

كتب: أسامة شحادة

في ختام هذه المقالات عن ضرورة تحصيل ثقافة دينية شرعية رشيدة، تقي المسلمين من سيل الشبهات والشهوات التي يُستهدفون بها من جهات متناقضة فيما بينها، لكنها متوحدة على المسلمين فقط! سيكون حديثنا اليوم عن منهج الاستنباط من نصوص الوحي، وهو المصدر الثالث لمعرفة الحقائق الدينية، التي أشار إليها الأستاذ بسطامي سعيد في كتابه المتميز (مفهوم تجديد الدين) وهي: «النصوص الموحاة، ومعاني هذه النصوص، والاستنباط منها، ولكل واحد من هذه الأقسام منهج علمي محدد مضبوط؛ فهناك منهج علمي لتوثيق النصوص، ومنهج لطريقة فهمها، ومنهج للاستنباط منها، وما يتوصل إليه عن طريق هذه المناهج حقائق لاشك في ذلك».

فبعد أن تبين لنا تميز منهجية إثبات النصوص الشرعية ودقتها، وأن هذه النصوص كانت معانيها معروفة معلومة، أخذها الصحابة -رضوان الله عليهم- عن النبي -ﷺ-، ومن ثم توارثتها الأجيال؛ فيبقى معنا كيف نستنبط من هذه النصوص الأحكام الشرعية لمستجدات الأمور والقضايا؟ إذ الوقائع متجددة ولا تنتهي، والنصوص الشرعية محدودة!

شبهة واهية

قد يبدو هذا التساؤل أمرًا ضخما عند كثير من بسطاء المسلمين حين يطرحه أعداء الإسلام، أو بعض من اغتر بهذه الشبهات، لكنه في الحقيقة شبهة واهية، أبطلها العلماء منذ قرون عديدة؛ إذ القرآن الكريم يرشدنا إلى أن النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية شاملة وكافية لكل شيء نحتاجه في أمور الدين؛ ولذلك ختمت النبوة برسالة نبينا محمدﷺ، ومن تلك النصوص قوله -تعالى-: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقوله -تعالى-: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (النحل: ٨٩)، والراجح عند جمهور المفسرين أن المقصود (بكل شيء) كما يقول العلامة السعدي في تفسيره: «في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد؛ فهو مُبين فيه، أتمَّ تبيين، بألفاظ واضحة، ومعانٍ جلية».

النصوص الشرعية

ولذلك جاءت أقوال الأئمة من القرون الأولى بأن النصوص الشرعية فيها كل أحكام الدين للوقائع الحادثة والمستقبلية، قال الإمام الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها» (الرسالة: ١٩)، وقال ابن سريج: «ليس شيء إلا ولله -عز وجل- فيه حكم» (البحر المحيط: ١/ ٢١٧)، وقال إمام الحرمين: «والرأي المبتوت المقطوع به عندنا، أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله -تعالى- متلقى من قاعدة الشرع» (البرهان: ٢/٣).

الوقائع والمستجدات

فالنصوص الشرعية فيها الكفاية لكل الوقائع والمستجدات والأزمان، ولكن قد يكون ذلك صريحا ومباشرا، أو غير صريح ولا مباشر؛ فتحتاج إلى استنباط وتدبر، وقام العلماء والأئمة بوضع قواعد وأصول؛ لذلك أثبتت عبر التطبيق والواقع صحتها

الإمام النووي: الاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة؛ فإذا أهمل الاستنباط، فات القضاء في معظم الأحكام النازلة

وصوابها، وأنها استوعبت توسع رقعة دولة الإسلام من جزيرة العرب، لتشمل العالم كله بقاراته وجهاته وتنوع شعوبه وأجناسه، وشملت هذه الأصول والقواعد كل مظاهر التقدم والتطور والنهضة العلمية، والثقافية، والفكرية، التي تشهد بها عصور الحضارة الإسلامية، التي لم تأفل إلا حين تقاعس المسلمون عن التقيد بهذه الأصول والقواعد، وزاحمتها الخرافات والأباطيل والأفكار المنحرفة عن أصول الدين من المذاهب والفرق الضالة، وحين سارت في مسار التغريب وتقليد المحتلين.

استنباط الأحكام الشرعية

واستنباط الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة من النصوص الشرعية كان النبي -ﷺ- يدرب أصحابه عليه ويصحح لهم، ومن أمثلة ذلك أمره -ﷺ- بالصلاة في بني قريظة؛ فانقسم الصحابة إلى قسمين، قسم أخروا الصلاة حتى وصلوا بني قريظة وقد خرج وقتها، وقسم قالوا أراد -ﷺ- أن نُسرع، فصلّوا في الطّريق؛ فلما بلغه ذلك أقرّ الطرفين على الاجتهاد. وعندنا قصة الرجلين اللذين فقدا الماء في السفر؛ فتيمّما وصليا، ثم وجدا الماء؛ فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة، ولم يفعل ذلك الآخر، فقال لمن لم يُعد: «أجزأتك صلاتك وأصبتَ السنة» وقال للذي أعاد: «لك الأجر مرتين» رواه أبو داود وصحّحه الألباني.

وفي ذلك يقول الإمام النووي: «فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة؛ فإذا أهمل الاستنباط، فات القضاء في معظم الأحكام النازلة، أو في بعضها» (شرح النووي ١١/ ٥٨).

علِم أصول الفقه

ومن هنا جاء عِلم أصول الفقه الذي يقوم على بيان أنواع الأدلة الشرعية، وهي أربعة أصلية متفق عليها (القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس) وستة فرعية (الاستحسان، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا)، وآليات الاستنباط من الأدلة (العام والخاص، والمطلق والمقيد، والأمر والنهي، وغير ذلك)، وحال المستنبط، ما صفاته وشروطه حتى لا يدخل هذا المجالَ من ليس مؤهلاً، كحال كل العلوم؛ فلا يقبل التطبيب إلا مِن مؤهل طبياً، ولا تُقبل الهندسة إلا ممن هو مؤهل هندسيًا.

وعلم أصول الفقه علم قديم من زمن الصحابة الكرام، لكن أول من دون قواعدَه هو الإمام الشافعي بعد أن حاول بعض المندسين من الأمم الأخرى بث الشبهات والتحريفات بين المسلمين؛ ولذلك ما يزال أعداء الإسلام منذ زمن الشافعي ولليوم يكرهونه، ويسعون لهدم علم أصول الفقه الذي سد عليهم طريق العبث بالدين من خلال ضبط عملية الاستنباط من النصوص الشرعية بما يوافق مقتضى اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

أصول الإسلام

كما أن عملية الاستنباط يجب أن تكون متوافقة مع أصول الإسلام المعلومة المشهورة؛ فلا يصح استنباط يبطل أصلا معلوما من الدين، أو يعارض مقصدا من مقاصد الشريعة، كما فعل بعضهم فادعى إبطال فريضة الجهاد ونسخها، بحجة أننا في زمن العلاقات الدولية، وهذا القول -بخلاف أنه يبطل صريح الدين-؛ فإنه وصفة مثالية للرضى بالاحتلال والظلم والعدوان على بلاد المسلمين، وترك الدفاع عن الدين والعرض والأرض، ولا يفعل ذلك شريف أو مخلص.

أقسام الاستنباط

ويقسم بعض الباحثين عملية الاستنباط إلى ثلاثة أقسام هي:

١ - استنباط وتدبّر من النصوص مباشرة، كقصة استنباط علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر من قوله -تعالى-: ﴿وحمْله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ (الأحقاف: ١٥)؛ إذ الرضاع / الفصال أقصاه عامان/٢٤ شهرا لقوله -تعالى-: ﴿وفصاله في عامين﴾ (لقمان: ١٤)، والفارق بين ٣٠ شهراً و٢٤ شهراً هي ٦ أشهر.

٢ - أو قياس على نص شرعي لاشتراك العلة؛ فمثلا من أغمي عليه وجب عليه الوضوء قياسا على وجوب الوضوء على من نام بعلة غياب الوعي، وكتحريم المخدرات قياساً على تحريم الخمر بعلة الإسكار.

٣ - أو تحكيم كليات الشريعة من الأمر بالعدل، والتعاون على الخير، والنهي عن الظلم.

في النهاية؛ آمل أن أكون قد بينت طرفا من أصول الثقافة الدينية الشرعية الرشيدة، التي مَن تحصن بها وقي الشبهات والفتن في هذا الزمان الصعب، وأن لدى المسلمين من المناهج العلمية السليمة والكفيلة بمطارحة أعتى الشبهات والهجمات المشككة، وأن تعلّم هذه العلوم وإشاعتها بين الأجيال عبر وسائل الإعلام والتعليم وبمختلف الوسائل كفيل بحصر دائرة الغلو والتطرف في الدين بظلم وجهل من جهة، ودائرة الانحراف والضلال عن الدين اتباعاً للهوى والشيطان من جهة أخرى.

السلفية بين الإقصاء والادّعاء (١١)

السلفية وتقديم النقل على العقل (٣)

نقد وتحليل لمؤتمر السلفية تحولاتها ومستقبلها

كتب: د. خالد آل رحيم

تحدثنا في السابق عن موقف أهل الإسلام من العقل وأنهم على ثلاث طوائف: قوم توسطوا بين من غلا في العقل وقدسه وبين من عطله وألغاه، وهم أهل السنة والجماعة الذين عرفوا للعقل قدره؛ فلم يغلوا فيه ويجعلوه وحده أصل عملهم، ولم يقروا من الأمور بما يكذب صريح العقل؛ لأن كلا الطرفين مذموم فكان موقف أهل السنة والجماعة هي الوسطية؛ حيث عرفوا للعقل قدره، ولم يغالوا فيه أو يعطلوه وإليك نماذج من تعامل أهل السنة مع العقل:

أولاً: الصحابة والعقل

استخدم الصحابة العقل، وأعملوا الفكر، واستدلوا ببعض الاستدلالات العقلية والمنطقية في المسائل الشرعية والأصولية، قال الإمام أحمد: إنه ما من مسألة إلا وقد تكلم فيها الصحابة أو في نظيرها؛ فلما فتحت البلاد وانتشر الإسلام حدثت الأعمال؛ فتكلموا فيها بالكتاب والسنة (بيان الإسلام ص٨٨ج ٤)؛ ولأن الإسلام حث على استخدام العقل فلن يجد أي إنسان تعارضا بين صريح المعقول وصحيح المنقول وتقديم النقل على العقل من مبادئ أهل السنة والجماعة عند التعارض.

يقول ابن تيمية: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين نقيضين؛ ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول -ﷺ-؛ فلو أبطلنا دلالة العقل فلم يصح أن يكون معارضاً للنقل فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقدمه.

ثانياً: استخدام العقل في عدم وجود نص

فقد كان الأئمة المجتهدون لا يحيدون عن السنة إلى العقل إلا في حال عدم وجود نص؛ فأصل مذهبهم الكتاب والسنة والإجماع والقياس، عن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- قال: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله -ﷺ- لرددته(صحيح البخاري).

وعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، ولقد رأيت رسول الله -ﷺ- يمسح على ظاهر خفيه (صحيح البخاري)، قال الإمام أبو حنيفه -رحمه الله-: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» وقال: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين أخذنا».

قال الإمام مالك -رحمه الله-: «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب؛ فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»، وقال الشافعي -رحمه الله-: «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله -ﷺ- وتعزب عنه؛ فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله -ﷺ- خلاف ما قلت فالقول قول رسول الله -ﷺ- وهو قولي، وقال: كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا أرجع عنها في حياتي وبعد موتي».

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: لا تقلدوني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي والأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا.

إعمال الفكر والعقل

ولذلك السلف جوّزوا إعمال الفكر والعقل فيما يؤدي إلى إظهار الحديث والعمل بمقتضى النقل والرد على المخالفين للكتاب والسنة، ولم يجوّزوا أن يكون النقل مطية للعقل امتثالاً لأمر النبي -ﷺ- القائل: «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه بقبض العلماء بعلمهم فيبقي ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون» (صحيح البخاري).

السلفية لم تقدم النقل على العقل

وختاماً لهذه الجزئية من الرد على شبهة القائلين بأن السلفية تقدم النقل على العقل نقول:

الإسلام كرم العقل

- إن الإسلام كرم العقل وجعله مناط التكليف، وقد حث المولى -تعالى- الإنسان على التفكر والتدبر في أكثر من ستين آية في القرآن الكريم.

التوازن أو الانحراف

كتبه : رجب أبو بسيسة

العالم يندفع نحو المظاهر مصحوبًا بجفاف روحي وإيماني هائل ومزعج في الوقت نفسه، ونحن جزء مِن المجتمع، تأثرنا بذلك بلا شك، وهذا الأمر يحتاج إلى إعادة توازن بين الظاهر والباطن، وبين صورة العبادة وحقيقتها، ويحتاج إلى دراسة متأنية وتنبيه دائم ومستمر؛ لأن الانحراف اليوم يمتد خطره إلى الأجيال القادمة، ولاسيما بعد التقدم السريع في وسائل الاتصال والبث المباشر.

كما أننا نعيش في زمن ممتلئ بالتحديات، وهذه التحديات لا تتبخر بالتجاهل، بل تحتاج إلى قراءة جيدة لطبيعة المرحلة وتوجيهات وقائية، والمعلوم أن الوقاية خير مِن العلاج، نعيش في زمن تفاقم فيه حب الظهور والصدارة والاعتداد بالرأي، وحب الذات وتضخمها والمزاجية، والتنكر لأصحاب الفضل والأيادي البيضاء .

والمتوقع أن هذه الآفات ستتفاقم أكثر في المرحلة القادمة، ولاسيما أن مَن يلاحظ الساحة اليوم يرى أن هناك أبوابًا فتحت مِن التأويل والترخص وقلة الورع والتساهل، وأصبح الجو مهيئاً لانتشار هذه الأمراض القاتلة، وقد يتحول الأمر إلى وباء فتاك، يفتك بالأشخاص والتجمعات، ويهدد الاستقرار النفسي للمجتمع، والأمر يزداد تعقيدًا إنّ صاحب ذلك إهمال وعدم اهتمام بالعبادات التي تقوي القلب، وتثمر الخشية والمراقبة الذاتية، وتساعد على تأجيل الرغبات، وتجعل صاحبها يراعي نبل المقاصد وحراسة الخواطر والنيات، ونحن نوقن أن الأمة لا تنتصر إلا بالتجرد والإخلاص.

وهذا الاندفاع نحو المظاهر فقط يؤخر ولا يقدم، ويضعف ويربك الحركة إلى الأمام، ودائمًا ما يعقبه انهيار، ما لم يتداركه صاحبه بالتوبة الصادقة والاستقامة الحقيقية والتناغم بين الظاهر والباطن.

وانتشار هذه الآفات يزداد بها الباطل، ويطمع ويتجرأ علينا بسببها، وكما قال القائل: «فالزم الطاعة والعبودية؛ يؤخذ بيدك في المضائق، وتفرج بها الشدائد، ولا تجعل أعمالك جندًا عليك يزداد بها عدوك قوة عليك»، ولربما يُسَاوَم بها أصحاب النفوس التي ضعفت أمام بريق المظاهر والمناصب الزائفة، والتاريخ يشهد لذلك ويؤكد خطورة الأمر.

ونخشى إن لم نتدارك الأمر، ونعيد التوازن المطلوب للشخصية العاملة لنصرة الحق أن تنحرف عن المسار وتستدرج؛ إذ العبد لا يستطيع مواصلة السير في هذا الطريق الشاق إلا بالعبادات والطاعات.

ومن أهم القضايا التي يجب أن نهتم بها في هذه الفترة: أن نهتم بالعبادات التي مِن شأنها إشباع الروح والقلب، وتعطي الطاقة الإيمانية، وتدفع لكل خير وفلاح، ويعظم بها المؤمن الحرمات، ويصلح بها السريرة، وكان الرجل مِن السلف يستحب أن تكون له خبيئة مِن عمل صالح لا يعلمها إلا الله.

فالحذر مِن فتنة التكالب على المناصب، والظهور، وتضخم الذات.

العقل له سيادة

- إن العقل له سيادة ولكنها ليست مطلقة، وإنما مقيدة بالشرع؛ فعندما يتعدى حدوده يضل، وقد كانت أول معصية عُصي بها الله -تعالى- كانت بسبب المقارنة العقلية من الشيطان بينه وبين آدم -عليه السلام.

علاقة وثيقة بالشريعة

- إن العقل له علاقة وثيقة بالشريعة؛ حيث جاءت الشريعة فى الأصل لحماية العقل، وجعلته من الضرورات الخمس التى يجب الحفاظ عليها.

جزء من الشريعة

- جُعل إعمال العقل جزءا من الشريعة في غير ما آية في القرآن الكريم كدعوة الله -تعالى- لأهل الكتاب بإعمال عقولهم.

الأدلة العقلية

- اشتمال القرآن على الأدلة العقلية قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: بل قد ضمن كتابه من الأدلة العقلية فى أمر المعاد ما هو بين لعامة العباد، بل ضمن فى كتابه العزيز من الأدلة العقلية على ثبوت الأمر والنهى والوعد والوعيد (درءتعارض العقل والنقل ج٧ ص ٣٥٢).

الأدلة العقلية

- السلف يستخدمون العقل في عدم وجود النص أما فى وجود نص فقد كانوا يتوقفون تماماً.

العقل الصريح

- العقل الصريح لا يتنافي مع النقل الصحيح وهو أصل ثابت؛ فإذا ورد ما يوهم هذا التعارض يكون بأمرين:

الأول: أن يكون النقل صحيحاً ثابتاً ويكون الدليل العقلى ليس دليلا معتبرا أو يكون تدخلاً بالعقل فى أمور غيبية لا يدركها ولا مجال له فيها والواجب هنا الانقياد للشرع.

الثاني: أن يكون الدليل النقلي غير صحيح وفي هذه الحال لا يصلح للمعارضة ولا يحتج به، ولا يخفي أن دلالة العقل متغيرة والعلوم النظرية ليست ثابتة وهي عرضة للتغيير والتطوير؛ ولذلك فلا ينبغي بناء أحكام شرعية على أراء متغيرة تكون مقبولة في يوم ما ومردودة فى آخر.

الوقف في مرض الموت وصية

كتب: د. عيسى القدومي

باب الوقف من الأبواب المهمة التي من الأهميّة تقرير ضوابطه، ذلك أنّ عامّة أحكام الوقف اجتهاديّة؛ فلا مناص من الانطلاق في تقريرها من أصول الشريعة العامّة، الضابطة لباب المصالح والمنافع على وجه الخصوص، ثمّ من القواعد الفقهيّة الكلّيّة، ثم يترجم كلّ ذلك على هيئة ضوابط خاصّة بباب الوقف، وهو ما سنتناوله في هذه السلسلة المباركة -إن شاء الله-، واليوم مع الضابط الثالث وهو: الوقف في مرض الموت وصيّة.

معنى الضابط

إذا وقف واقفٌ شيئًا من ماله في مرض موته؛ فيصحّ الوقف، إلّا أنّه يُنزّل منزلة الوصيّة، ويأخذ أحكامها؛ فيكون وقفُه ولو كان منجّزًا في تلك اللّحظة في حكم أنّه أوصى بالوقف.

أحكام الوصيّة

وعليه؛ فإنّ هذا الوقف تجري عليه أحكام الوصيّة، ومنها: لا يكون وقفاً على وارث، ولا بأكثر من ثلث التّركة، إلّا إذا أجاز الورثة في كلا الحالتين، وإذا كان الموقوف عليه معيّنًا فردّ الوقف ولم يقبله؛ فإنّ هذا الردّ لا يُعد إلّا بعد موت الواقف؛لأنّ الوقف كالوصيّة، لا يلزم إلّا بالموت إلى غير ذلك.

تبرّعات المريض

وقد أطلق أهل العلم القول: بأنّ تبرّعات المريض عموماً، إذا كان مرضُه مخوفًا يصلُح سببًا للموت وكان الموت متّصلاً به؛ فكلُّها تجري مجرى الوصايا في الحكم، لا التبرّعات المنجّزة، وفي (قانون العدل والإنصاف): «الوقف في مرض الموت لازمٌ بعده، إلا أنّه يعد من ثلث مال الواقف، سواء نجّز الوقف قبل موته، أو أوصى به بعده».

الواقفون ثلاثة

وفي (ترتيب الصنوف): الواقفون باعتبار حالهم ثلاثة أقسام:

الوقف في حال الصحّة

القسم الأوّل: هو الوقف في حال صحّة الواقف؛ فلو وقف أحدٌ وهو في حال صحّته جميع أمواله على أجنبيٍّ، أو على بعضِ ورثته أو جميعهم، أو على وجهٍ من وجوه البِرِّ، صحّ وقفه، ولا حقّ لورثته لأن يدخلوا فيه، كما لا حكم لإجازتهم أو عدم إجازتهم إيّاه.

الوقف في مرض موت

القسم الثاني: هو الوقف في مرض موت الواقف، بأن يوقف أو يسجِّل أحدٌ وقف ماله، وهو في مرض موته على أجنبيٍّ، أو على جهة برٍّ؛ فإنّ هذا الوقف لا يُعد ولا يُنفّذ إلّا من ثلث مال الواقف، بناءً على إضافة تبرّعات المريض مرضَ الموت إلى ما بعد موته، ولزومها في ثلث ماله فقط.

وعلى هذا لو وقف أحدٌ وهو في مرض الموت عقارَه على بناته الثلاثة اللّاتي لا وارث له سواهنّ، وجعله من بعدهنّ على الفقراء، ثمّ مات ولم يترك مالاً غير هذا العقار، ولم يُجِزْ بناتُه كذلك وقفَه، لزم الوقف في ثلث هذا العقار فقط، وبطل في ثلثيه الآخرَيْن، ودخل هذان الثلثان ملكاً لبناته في تركته.

الوصية بالوقف

القسم الثالث: هو الوصيّة بالوقف...»، والأصل في ذلك الحديث الذي رواه عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: «إنّ رجلاً أعتق ستّة مملوكين له عند موته، لم يكن له مال غيرهم؛ فدعا بهم رسول الله -ﷺ-؛ فجزّأهم أثلاثًا، ثمّ أقرع بينهم؛ فأعتق اثنين، وأرَقَّ أربعة، وقال له قولاً شديداً»؛ فإنّ النبيّ -ﷺ- هنا قد أجرى تصرّفه في ماله بالتبرّع. وهو في مرض الموت مجرى الوصيّة؛ فصحّحها في الثلث فقط،

وقال له قولاً شديداً لما فعل؛ لأنّ التبرّع بكلّ المال في مرض الموت مظنّة تهمة.

قال الطحاوي: «أفعال المرضى في أمراضهم التي يتوفون منها مُقَصَّرٌ بهم فيها عن نفوذها من جميع أموالهم، ومردودةٌ إلى أثلاث أموالهم غير متجاوزة إلى ما هو أكثر منها من أموالهم؛ ولما كان ذلك كذلك، وجب أن يكون من حلّ به مرض قد يحتمل أن يكون يموت فيه، وقد يحتمل أن يخرج منه، ألّا يتَبَسَّطَ في أمواله تَبَسُّطَ الأصحّاء في أموالهم؛ لأنّه قد يجوز أنْ يكون في مرضٍ يمنعُه من ذلك، وقد يجوز أن يكون في مرض لا يمنعه من ذلك، إلّا أنّ الأولى به الاحتياطُ لنفسه، ولمن حَبَسَ بقيّة ماله -بعد ثلثه- عليه، ممّن يرثه».

ضابط مرض الموت

قال شيخ الإسلام: «ليس معنى المرض المَخُوف: الذي يغلب على القلب الموت منه، أو يتساوى في الظن جانب البقاء والموت؛ لأن أصحابنا جعلوا ضرب المخاض من الأمراض المَخُوفة، وليس الهلاك فيه غالباً ولا مساوياً للسلامة، وإنما الغرض أن يكون سبباً صالحاً للموت؛ فيُضاف إليه، ويجوز حدوثه عنده، وأقرب ما يقال: ما يكثر حصول الموت منه؛ فلا عبرة بما يندر وجود الموت منه، ولا يجب أن يكون الموت منه أكثر من السلامة، لكن يبقى ما ليس مخوفاً عند أكثر الناس والمريض قد يخاف منه، أو هو مَخُوف والرجل لم يلتفت إلى ذلك؛ فيُلْحَظُ ما هو مَخُوف للمتبرّع، وإن لم يكن مخوفاً عند جمهور الناس».

أدقّ ما قيل

والواقع أنّ هذا الضابط يجمع أدقّ ما قيل في تعريفات الفقهاء لمرض الموت، قال الأستاذ العلّامة مصطفى الزّرقا: «إنّ النظريّة الشرعيّة في مرض الموت، ترتكز على اعتبار أنّ هذا المرض إنذارٌ بحادثة الموت التي تنتهي بها الشخصية والأهلية، ويرتب الشرع عليها أحكاماً جديدة، منها الإرث وحلول الدّيون التي على الميّت؛ إذ ينتقل تعلّقها من ذمّة المَدين إلى ماله لخراب ذمّته بالموت؛ فتصبح تركته مرهونةً شرعاً بالدّيون؛ فهو بذلك مقدّمة للنّتيجتين الحقوقيّتين السلبيّة والإيجابيّة، اللّتين سيكون حادث الموت المُنْذَر به سبباً لهما؛ فهو مقدّمة لزوال شخصيّة المريض، وانسلاخ أهليّته وملكيّته، وهو أيضاً مقدّمة لثبوت الحقوق العينيّة في أموال المريض، لمن ستنتقل إليهم هذه الأموال بعد موته، من دائنين أو ورثة.

إذا وقف واقفٌ شيئًا من ماله في مرض موته؛ فيصحّ الوقف، إلّا أنّه يُنزّل منزلة الوصيّة، ويأخذ أحكامها

ففي مرض الموت بدء الزوال وبدء الثبوت فيهما معاً، صيانةً للحقوق التي أثبتها الشرع لهاتين الزمرتين في التركة. وينشأ عن ذلك أنّ الديون تصبح متعلّقة بمال المريض وذمته جميعاً، بعد أن كانت متعلّقة قبل المرض بذمّته فقط؛ وذلك لعجزه عن السعي والاكتساب؛ فتضعُف ذمّته؛ فيُضمّ إليها مالُه توثيقاً.

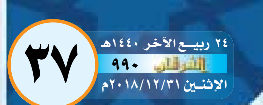
والشرع قد أطلق للإنسان أن يتصرّف بثلث ما سيتركه من مال، تصرُّفاً مضافاً إلى ما بعد موته، بالوصيّة ونحوها فيما يرى من وجوه الخير التي يبتغي بها ثواب الآخرة، وقد ألحق حالة المرض الأخير من هذه النّاحية بالموت؛ فالتصرُّف فيها بالتبرُّع وما في حكمه، ولو منجّزاً، يُعد كالتصرُّف المضاف إلى ما بعد الموت.

فمن هنا يُعد المريض بمرض الموت محجوراً بالنسبة إلى الدّائنين، حَجْراً غير محدّد بحدّ محدود من ماله، وبالنسبة إلى الورثة حَجْراً محدوداً بالثلثين»؛ ولذلك كان المريض المدين الذي أحاط الدَّيْن بماله من المحجور عليهم حتى في الثّلث، ولو وقف في مرض موته فوقفُه منقوضٌ، يُباع ويُوفّى منه الغرماء حقوقهم.

ممّا يُلحَق بهذا الضّابط

ما لو أقرّ في مرض موته بأنّه كان قد وقف وقفاً سابقًا في حياته؛ فالأصحّ تصحيح انعقاد هذا الوقف، لكنه لا ينفّذ إلّا من ثلث التركة، كالوصيّة، ويكون على غير وارث، إلّا إن أجاز الورثة. وقد حكى ابن المنذر -رحمه الله- أنّ الإقرار بالحقّ في مرض الموت صحيحٌ نافذٌ في الجملة، وجاء في (مجلة الأحكام العدلية): «إقرار المريض في مرض موته بالإسناد إلى زمن الصحة في حكم الإقرار في زمن المرض؛ فلو أقرّ أحدٌ في مرض موته بأنّه قد استوفى دَيْنَه الذي على وارثه في زمان صحّته، لا ينفذ إقراره ما لم يجز باقي الورثة، كذلك لو أقرّ أحدٌ في مرض موته بأنّه قد وهب ماله الفلاني حال صحّته لأحد ورثته فلان وأنّه سلّمه إيّاه، لا ينفذ إقراره ما لم يثبت ببيّنة، أو يجزه باقي الورثة».

النظريّة الشرعيّة في مرض الموت، ترتكز على اعتبار أنّ هذا المرض إنذارٌ بحادثة الموت التي تنتهي بها الشخصية والأهلية



صفحات مشرقة من حياة المحسنين الكويتيين

السيد سلطان بن إبراهيم الكليب

كان محبًا للعمل الخيري متفانيًا في خدمة الناس

كتب: محمود عبدالرازق العدوي

منذ نشأة الكويت عمومًا، وشروق شمس الكويت الحديثة خصوصًا، تتسابق العائلات الكويتية وتتنافس في إنشاء مشاريع الخير ودعمها بسخاء، في ملحمة عطاء إنسانية فريدة ورائدة، صارت مضرباً للأمثال، وقدوة لفضائل الأعمال، تتناقلها أجيال بعد أجيال، وتنسج فسيفساء في غاية الروعة والجمال، وفي هذه الحلقات نحاول عرض السير العطرة لرموز العطاء من المحسنين والواقفين الكويتيين وجوانب إحسانهم ووقفياتهم ومشروعاتهم الخيرية، واليوم مع علم من أعلام هؤلاء المحسنين وهو السيد سلطان بن إبراهيم الكليب.



هو سلطان بن ابراهيم بن علي بن كليب بن علي بن فيصل جده كليب، أخوه خضير بن علي جدّ آل خالد بن خضير، وينتهي بهم النسب إلى قبيلة (عنزة العدنانية) المشهورة في جزيرة العرب وبادية الشام. ولد سلطان -رحمه الله- سنة ١٣٠٧ هـ الموافق سنة ١٨٨٩/ في الكويت، ونشأ فيها وتعلّم في كتاتيبها، وكان حظّه من التعليم قليلا وهو القراءة والكتابة فقط كحظّ كثيرين من أبناء بلده، لكنه امتاز على كثير من أقرانه بجد لا يشوبه ملل ونشاط لا يخالطه كسل، وحب طاغ لبلده وإخلاص لأهلها.

مثل شمعة تحترق

وفي هذا المجال نسوق حديث الشيخ عبد الله النوري عنه: «إن سلطان الكليب مثل شمعة تحترق في صمت لتنير ليل الآخرين المظلم». لقد عرف عن المرحوم سلطان الكليب حبّه للعمل التطوّعي وتفانيه في سبيل الخدمة العامّة، ولم يكن يرجو من وراء عمله هذا إلا ثواب الله -تعالى-، وعرف أنه لم ينافق قط، واشتهر بوطنيّته وحبّه وغيرته على وطنه وأهله حتى أصبحت هذه الخصلة الحميدة مثار إعجاب الكويتيين جميعهم.

في العمل الخيري التطوعي

عندما قام ابن خاله المحسن فرحان بن فهد الخالد بتأسيس الجمعية الخيرية عام ١٣٣١هـ، كان سلطان الكليب اليد اليمنى له والعامل الأقوى والأنشط في مساعدته في تأسيسها، وكان من أهداف الجمعيّة تعليم الناشئة ولاسيما المحتاجين، ومساعدة طلاب العلم وإرسالهم إلى الجامعات الإسلاميّة في البلاد العربية.

ولما ضمّت الجمعيّة إليها طبيبا يداوي المرضى المحتاجين تطوع سلطان فجعل من نفسه ممرضا فيها ومضمّدا بلا أجر إلا ثواب الله -تعالى-، ولم يكن سلطان يعرف عن الطّب شيئا لكنّه تطوّع ليتعلم ما يفيد به أبناء وطنه في وقت كان الطب فيه نادرا. كما دأب على

شارك في الدفاع عن وطنه في حرب الجهراء؛ فحمل السلاح، وجلب المؤن، وخاض البحر وحرس ليلا، وكان جنديا مخلصا في جنديّته.

إقناع بعض الشباب من أصدقائه وحثّهم على إشغال أوقات فراغهم في مساعدة الطبيب وتضميد جراح المرضى؛ فقد كان تفانيه في العمل الخيريّ مضرب الأمثال وحديث الجميع.

في مجال التعليم

عندما قام المخلصون من أبناء الكويت بتأسيس المدرسة المباركيّة سنة ١٣٣٠هـ وقرروا بناءها تطّوع سلطان الكليب؛ فجعل من نفسه مشرفا على البناء وحاثّا مواطنيه على الإنفاق في سبيل الله لإقامة أول مؤسّسة علمية في وطنهم، ومثل ما كان له من جهد في المدرسة المباركيّة لم يأل سلطان جهدا في المشاركة بتأسيس المدرسة الأحمدية، بل بذل -رحمه الله- أقصى ما لديه من جهد لتكون صنوا للمدرسة المباركية في كل شيء، ولما فتحت المدرسة الأحمدية أبوابها عام ١٣٤٠هـ كان عضوا في مجلس إدارتها متطّوعا لا يريد بعمله إلا وجه الله -تعالى.

الدفاع عن الوطن

شارك في الدفاع عن وطنه في حرب الجهراء؛ فحمل السلاح، وجلب المؤن، وخاض البحر وحرس ليلا، وكان جنديا مخلصا في جنديّته. وكان احتمال استشهاده واردا؛ فقد خاض حربا شرسة حاملا روحه على كفّه، واضعا نصب عينيه أن ينال إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة في سبيل الله والدفاع عن الوطن.

العناية بالمساجد

ما من مسجد أوشك على السقوط في ذلك الوقت إلا وقام سلطان مشمّرا عن ساعد الجدّ لإصلاحه وترميمه وصيانته بمساعدة أهل الخير من الكويتيين.

وحين أوشك مسجد السوق الكبير على السقوط ذهب سلطان إلى من يظن بهم خيرا يحثّهم على إصلاحه، ولكن السيدة (شاهة الصقر) علمت بالأمر، وطلبت من سلطان أن يقوم بإصلاحه وترميمه على نفقتها الخاصّة؛ فشمر عن ساعده وبدأ في التنفيذ فورا واضعا نصب عينيه أن ينتهي منه في أقرب وقت ممكن كي لا يحرم المصّلين من الصلاة فيه.

فكان بمثابة مهندساً ومشرفاً على البناء ومراقباً للعمال، يبدأ حضوره قبل حضورهم، وينصرف بعد انصرافهم، ولا يفتأ نهاره ينتقل من مكان إلى مكان يجلب مستلزمات البناء، ويطعم العمال حتى تم بناء المسجد الذي جددت بناءه دائرة الأوقاف العامة بتاريخ ١٩٥٣/٧/٥م.

أول منارة

وقد ذكر الشيخ عبد الله النوري في كتابه (خالدون في تاريخ الكويت) إن أول منارة بنيت في الكويت على الطراز الحديث بناها سلطان في مسجد السوق في محل المنارة القائمة الآن، وبني المسجد سنة ١٣٥٣هـ في شهر ربيع الأول.

محاربته للدجل والشعوذة

مثلما كان محبّا للعلم والمعرفة كان عدوّا للدّجل والدّجالين وعدوّا للخرافات التي انتشرت في عصره بالكويت والمناطق المجاورة؛ فتزعم حملة تدعو إلى تنقية ديننا من الخرافات التي استشرت كالمرض في عقول الناس في ذلك الوقت مطالبا بفهم الدين الإسلامي بمعناه الصحيح.

في مجال الخدمة العامة

شارك سلطان الكليب في العديد من المجال وقام بالخدمات العامة، ومن أبرز مساهماته ما يلي:

- تولى إدارة المكتبة الأهلية في عام ١٩٢٤م
- تولى إدارة البلدية من (أكتوبر ١٩٣٩م - ديسمبر ١٩٤٢م) ونظم الكثير من الأمور ولاسيما ما يتعلق بالبيع والشراء ونظام الموازين.
- اختير عضوا في مجلس المعارف في الفترتين من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٨م ومن ١٩٥١ حتى ١٩٥٢م.
- عين مديرا لشركة الكهرباء في عام ١٩٣٨م.
- اختير عضوا بالمجلس البلدي من ١٩ يونيو ١٩٣٧ حتى ١٣ مارس ١٩٣٨.
- اختير عضوا في المجلس التشريعي عام ١٩٣٨م.

وفاته

توفي -رحمه الله تعالى- في يوم ٢٧ ذي القعدة عام ١٣٧١هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٩٥٢ بعد حياة عامرة بالكفاح والجهاد والإخلاص والنشاط والحيوية في إنكار للذات وتفان في سبيل المصلحة العامة، رحمه الله- تعالى رحمة واسعة وجزاه عن الكويت وأهلها خير الجزاء.

المصادر والمراجع:

لقاء مع حفيده السيد سلطان عبدالله سلطان الكليب

سلسلة محسنون من بلدي - بيت الزكاة - الجزء الأول - الكويت ١٩٩٨

مثلما كان محبّا للعلم والمعرفة كان عدوّا للدّجل والدّجالين وعدوّا للخرافات التي انتشرت في عصره بالكويت والمناطق المجاورة

قراءة ريحها طيبٌ وطعمها حلو

كتب: د. سعيد أبو العلا حمزة (٢)

استكمالاً لما بدأنا الحديث عنه في المقال السابق عن الصورة المشرقة لمجتمع يختلط ليلَ نهارَ مع القرآن الكريم، قراءة واستماعا وحفظًا واختبارات ومسابقات، وقلنا: إن في ذلكَ محاكاة لما كان عليه صحابة النبي -ﷺ-، وقلنا: إن الاعتناء بالقرآن تلاوة، وحفظًا، وتدبرًا، مفتاح المفاتيح التي تبني النفس الإنسانية؛ حيث كانت تلاوة القرآن - وما زالت- أهم مكوِّن من مكونات الفرد المسلم، وغذاء روحه، ودعامة ثباته أمام ما يلقاه من فتنٍ.

من هنا؛ فإن القراءة الدقيقة الواعية التي تُنبت في بساتين القلوب أزهار الإخبات، وتشق أخاديد تجري فيها أنهارُ الحكمة، وتضيء مشكاة البصيرة حين تظلمُ العقول، وتختل الموازين، هي تلك القراءة التي تتنزل على القلب؛ فتغسله من أدرانه، وتطهره من الآثام، وتزكيه وتزيده إيمانا، وهذا أمر لا يوافق كل أحدٍ توفَّر على القراءة، وإنما يحتاج إلى دُربة واستشعار بعظمة الرب -سبحانه وتعالى-؛ فتغشاه السكينة ويمتلك قلبه الخشوع والإخبات والوجل، وينعكس ذلك على جميع بدنه وجوارحه فتراه خاشعا متذللا.

السمو الإيماني

وثمة أمر مهم ينبغي الإشارة إليه، وهو أن هذه الحالة من السمو الإيماني أثناء القراءة، ترتكز على ما قصد إليه القارئ من قراءته، وأن تكون غايته واضحة وليس للغموض فيها مكان؛ فيسأل نفسه: هل قصد إلى مناجاة ربه؟ أم هل قصد التعبد والثواب؟ أم هل قصد إلى تحسين لفظه وتجويد أدائه؟ أم هل منتهى همه وغاية أمله الوصول إلى آخر السورة؟ هل قصد إلى طلب الآخرة أم طلب الدنيا؟

تحديد الوجهة

لابد للمرء من تحديد وجهته بدقة، متى قصد إلى كتاب الله قارئا فهذا هو المحور الذي يتحدد به علاقته القلبية بكتاب ربه، ومعيار ربحه وخسارته، وزيادة إيمانه ونقصانه، وهذه الوجهة هي التي ينقسم بها القارئون لكتاب الله إلى أصناف ثلاثة: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات -بإذن الله.

صناعة القراءة المؤثرة

وينبغي الالتفات إلى أن صحة القراءة وتجويد اللفظ وتحسين التلاوة محور رئيس في صناعة القراءة المؤثرة، وحصول التدبر، وإيصال المعاني للقلب والتفاعل معها؛ فكلما كانت الحروف واضحة والمخارج دقيقة، كانت القراءة أكثر تأثيرا ونفاذا إلى القلب.وقد كانت قراءة النبي -ﷺ- كما نعتتها أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- مفسرة حرفا حرفا، وقال البراء بن عازبرضي الله عنه : «كان -ﷺ- يقرأ في العشاء: ﴿والتين والزيتون﴾؛ فما سمعت أحدا أحسن صوتا ولا قراءة منه»

ويُلخِّص الإمام الغزالي -رحمه الله- ما ينبغي اجتماعه في القراءة الصحيحة الخاشعة؛ فيقول: «وتلاوة القرآن حق تلاوته، هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب؛ فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزعاج والائتمار؛ فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ».

وقال الألوسي في تفسير قوله -تعالى- ﴿يتلونه حق تلاوته﴾«أي: يقرؤونه حق قراءته، وهي قراءة تأخذ بمجامع القلب؛ فيراعى فيها ضبط اللفظ، والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي».

الانشغال بالقوالب

والمذموم في هذا الشأن هو الانشغال بالقوالب أعني الحروف دون المعاني، وتنعقد همة القارئ على مجرد تحسين اللفظ؛ فيدعوه ذلك إلى التكلف والتعسف في إخراجها والوسوسة فيها، ويكون ذلك مجالا للتفاخر بين القراء؛ فينصرفوا عن المقصود الأعظم للتلاوة، وهو التدبر للمعاني والعمل بالقرآن، وهذا الشأن ليس جديدا، وإنما هو قديم والتحذير منه مبثوث منتشر في كلام الأئمة، من الصحابة والتابعين، وما ذلك إلا لخطره الشديد؛ فإنه يحول بين القلب وكلام ربه؛ فلا ينتفع بهداياته، ولا ينزجر بمواعظه.

عبيد وصبيان

يقول الحسن البصرى -رحمه الله-: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان، لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من أوله، قال -تعالى-: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾، وما تدبّر آياته إلا باتباعه، والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن له فى خلق ولا عمل، حتى

صحة القراءة وتجويد اللفظ وتحسين التلاوة محور رئيس في صناعة القراءة المؤثرة، وحصول التدبر، وإيصال المعاني للقلب والتفاعل معها

إن أحدهم ليقول: إنى لأقرأ السورة فى نَفَسٍ واحد! والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء».

ويقول ابن تيمية -رحمه الله-: «ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك؛ فإن هذا حائل للقلوب، قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه».

وللإمام الذهبي -رحمه الله- كلام نفيس: «فالقراء المجودة: فيهم تنطع وتحرير زائد يؤدي إلى أن المجود القارىء يبقى مصروف الهمة إلى مراعاة الحروف، والتنطع في تجويدها؛ بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله -تعالى-، ويصرفه عن الخشوع في التلاوة لله».

القراءة التي نريد

نعم، هذه القراءة التي نريد لكتاب الله -عز وجل- التي ينبغي للمتصدرين لتعليم الناس كتابَ الله -عز وجل- في دور التحفيظ والمؤسسات القرآنية، ألا يبغوا عنها حِوَلا، ولابد لهم من منهج شامل قوامه القراءة على النحو الذي ألمحت إليه، وهاكَ اللبنةَ الأخيرة التي أتمم بها بنائي، وهي منهج مقترح لتفعيل دور القراءة في الحلقة القرآنية:

- توجيه عناية المتعلمين إلى خطورة الاقتصار على حفظ الألفاظ وضرورة الاعتناء بفهم المعاني وتدبر الآيات، وأنها المقصود الأول من الحفظ والتنبيه على أهمية العمل بالقرآن، وبناء الشخصية الفكرية والسلوكية الجديدة من خلال ما يحفظه في الحلقة القرآنية.

- أن يكون للقراءة من المصحف بتفكر وتدبر الحظ الأوفر في برنامج التحفيظ؛ لما لها من دور بالغ الأهمية في تيسير الحفظ وتوطيد العلاقات بالسور القرآنية، من خلال مداومة النظر وطبع صورة الصفحات في الذاكرة وكسر الحواجز النفسية بين الطالب وبين بعض السور، التي غالبا ما يكون نصيبه الهجران أثناء مرحلة الحفظ؛ وذلك بمطالبة المتعلمين بختمة دورية للمصحف، وأقترح أن تكون بواقع جزأين يوميا، وهذا ما أقرره في برنامجي الخاص في التحفيظ والموسوم بـ (الحصون الخمسة في حفظ القرآن الكريم).

- تذكير المتعلمين دوريًا بأهمية القراءة، وما ينبغي لها من آداب واستعدادت علمية وعملية، وبيان هدي السلف في قراءة كتاب الله -عز وجل-؛ وذلك بذكر أخبارهم وأحوالهم، التي تعلو بها الهمم، ويحسن كذلك ذكر أخبار المعاصرين وعلو همتهم في القراءة والتدبر، وأثر ذلك في حياتهم وسلوكهم وأخلاقهم، وقد جمعت الدكتورة أسماء الرويشد -كتب الله أجرها- جزءًا لطيفا في هذا الباب (هكذا عاشوا مع القرآن.. قصص ومواقف).

- دلالة المتعلمين إلى الكتب المتخصصة في هذا الباب، والتفاسير التي عنيت بتدبر المعاني، وتخصيص وقتٍ في الحلقة القرآنية، لمدارسة الآيات التي يطالب المتعلمين بحفظها؛ وذلك من خلال مناقشتهم والاستماع إليهم؛ وذلك بتحضير مسبق بقراءة واعية من كتبٍ مقرر من جهة إدارة المعهد أو المؤسسة، وأرشح هنا كتاب المختصر في تفسير القرآن الكريم، إعداد لجنة من المختصين بمركز تفسير للدراسات القرآنية، وتفسير الإمام السعدي -رحمه الله-، وغيرهما من التفاسير المعتمدة لدى أهل العلم.

- عقد اختبارات دروية ونقاشات موضوعية لقياس مدى تقدم المتعلمين وثرائهم الفكري.

- التأكيد الدوري على معلمي القرآن الكريم من قِبل الموجهين والإداريين خلال الاجتماعات الدورية لمجلس الإدارة، على ضرورة أن يقرأ الطلاب الآيات في سلوك معلميهم وأخلاقهم في الحلقة القرآنية قبل أن يقرؤوها في مصاحفهم؛ فما زالت التربية بالنموذج العملي هي أعلى أنواع التربية وأعمقها أثرا في نفوس المتعلمين.

ولن أبالغ إن قلت: متى كانت دور التحفيظ والمؤسسات القرآنية تحتفل بالقراءة على هذا النحو؛ فإني يوما سأقرأ في طليعة صحفنا السيارة في صباح يوم ما قريب: «عادت الأرواح في البيئة المسلَمة تستنشق الحياة بمعناها السماوي من جديد»، أليس الصبح بقريب؟!



الشتاء

فصل الشتاء..
كيف يستغله المربي؟

كتبت: سحر شعير
كاتبة وباحثة في شؤون الدعوة والتربية

إنّ من عظيم حكمة الله -تعالى- أن جعل الآيات الكونية تتكرر وتعود حتى نتمكن من التأمل فيها مرة بعد مرة لتكون لنا العبرة الإيمانية من خلقها، ويزكو الإيمان في قلوبنا من مطالعة قدرة الله -تعالى- العظيمة في إبداعها وما يترتب عليها من منافع العباد، قال -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ - سورة الروم:٢٤.

كيف نعزز التربية الإيمانية في الشتاء؟

إن عملية التربية ليس لها وقت محدد؛ فعمل المربي لا ينقطع، وإنما هو عمل مستمر متواصل على مدار اليوم والليلة؛ والتربية الإيمانية -على وجه الخصوص- يمارسها المربي على مدار اللحظة؛ حيث يكون في حالة تركيز دائم من أجل استغلال كل موقف أو حدث أو مناسبة لغرس مفردات الإيمان في نفس الطفل أو تطبيق القيم التي سبق أن تعلمها نظرياً، فيتناولها المربي بالشرح أو التعليق وبيان الحكمة عندما تحين مناسبتها العملية، ويلقنه ما يناسب كل موقف من الأذكار المشروعة فيه، إضافة إلى توجيهه إلى التفكر والاعتبار من تلك المواقف عن طريق الربط بين القيمة والمعرفة الإيمانية والحدث اليومي الذي يمر به، فإلى هذه السطور نتعرف على أهم القيم التربوية التي يهيئها لنا فصل الشتاء..هبةً ومعونةً من الله -تعالى- للمربين.

فصل الشتاء.. أفراحٌ وغنائم

يمثل فصل الشتاء غنيمة تربوية بحق؛ نظراً لما يكون فيه من الآيات الكونية المتعلقة بمناخ فصل الشتاء كالرياح والمطر، والرعد والبرق وغيرها، وهي غنيمة للمربي؛ لأنها آيات محسوسة مُشاهدة يراها الأبناء، ويقع أثرها في نفوسهم؛ فعليه أن يلفت أنظارهم إليها، ويربطها بالمعاني الإيمانية وبأسماء الله -تعالى- وصفاته التي تناسب هذا المقام؛ مما يثمر استشعارهم لعظمة الله -سبحانه- وخشيته ومراقبته في السر والعلن وتعظيم أمره ونهيه، وهذه المعاني تحديداً تمثل الحصانة الإيمانية التي نبغيها جميعاً لأبنائنا، لتكون حاجزاً لهم عن الوقوع في المنكرات والرذائل، ودافعاً ذاتياً إلى ما يحبه الله -تعالى- ويرضاه.

وإليك - عزيزي المربي- أهم ما نلفت إليه انتباه الأبناء من آيات في فصل الشتاء:

التدرج

التدرج في الانتقال من الحّر إلى البرد: فلله الحكمة البالغة في دخول الشتاء على الصيف، والصيف على الشتاء، كيف يكون بالتدرُّج والمهلة، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأةً لأضرَّ بالأبدان وأهلكها، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «فكر في دخول أحدهما - أي البرد والحر - على الآخر بالتدريج والمهلة حتى يبلغ نهايته، ولو دخل عليه مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وبالنبات وأهلكهما، كما لو خرج الرجل من حمام مفرط الحرارة إلى مكان مفرط في البرودة».

آية الله في المطر

- آية الله -تعالى- في إنزال المطر سبب لتنوع الثمار، ومثل لإحياء الموتى: قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ

عملية التربية ليس لها وقت محدد ؛ فعمل المربي لا ينقطع، وإنما هو عمل مستمر متواصل على مدار اليوم والليلة

فصل الشتاء غنيمة تربوية بحق؛ نظراً لما يكون فيه من الآيات الكونية كالرياح والمطر، والرعد والبرق وغيرها

النَّاس وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعام مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِه الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٧-٢٨)، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى-: «فلو كان نبات الصيف إنما يوافي في الشتاء لصادف من الناس كراهية واستثقالاً بوروده، مع ما كان فيه من المضرة للأبدان والأذى لها، وكذلك لو وافى ما في ربيعها في الخريف أو ما في خريفها في الربيع لم يقع من النفوس ذلك الموقع ولا استطابته ولا التذاذه ذلك الالتذاذ».

كيفية تكوّن المطر

- تبصير الأبناء بكيفية تكوّن المطر وأنه ينزل بقدر: يتحدث المربي مع أبنائه حول عظيم قدرة الله -عز وجل- في تكوين السحب الثقال بين السماء والأرض كالجبال، تحمل معها الماء الزلال، قال الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خلاله وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِنْ جبَال فيهَا مِنْ بَرَد فَيُصِيبُ به مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأَبْصَار﴾ النور: ٣٤، وهذا التأمل يُحدث مزيد خضوع وتذلل لله -تعالى-، قال ابن القيم -رحمه الله-: «فإذا تأملت السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه؟! وكيف يخلقه الله متى شاء وإذا شاء؟! وهو مع لينه ورخاوته حامل للماء الثقيل بين السماء والأرض إلى أن يأذن له ربه وخالقه في إرسال ما معه من الماء حيث يشاء- سبحانه.

عقيدة القضاء والقدر

- ربط الأبناء بعقيدة القضاء والقدر: تعريف الأبناء أن نزول المطر وما يصاحبه من شدة البرودة، وخفة المطر أو كثافته لدرجة السيول، وما قد يترتب عليها من فوائد أو مصائب هو من أقدار الله -تعالى- وحده، هو الذي يصرّفه ويقدّره كيف يشاء، وأن رد الفعل الصحيح إزاء هذه الآيات الكونية - ولاسيما إذا اشتدت وتأذى بها العباد - هو التزام أدب العبودية وذلك بانضباط القلب واللسان، فواجب القلب الخضوع، والرضا بالقدر، والإنابة إلى الله -تعالى-، والاستغفار من الذنب رجاء ارتفاع البلاء، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:٤٣).

وانضباط اللسان فلا تسخّط ولا اعتراض على أقدار الله -تعالى-، يقول الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله-: «وقد أصبح من المعتاد لدى الناس تتبّع تَقَلّبات الجو ومقياس درجاته: حرارة، وبرودة، وما أكثر لَهَجهم بذلك، وإتباعه بالتأفف والتألُّم من شدّة الحر وشدّة البرد... ويَجْمُل بالمسلم التوقِّي عن متابعة مثل هذا واتِّخاذه حديثًا في المجالس». وقد نهى النبي -ﷺ- عن سبّ الريح، وكان السلف يتأثمون من قولهم اليوم حار اليوم بارد.

الفرح بالشتاء

- الفرح بقدوم الشتاء لسهولة أداء العبادة: كان السلف -رضي الله عنهم- يفرحون بقدوم الشتاء التماسا لما يكون فيه من البركة، وتهيُّؤ الظروف للعبادة، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام ويقصر فيه النهار للصيام»؛ فهو فرصة يستغلها المربي في تدريب الأبناء على العبادات، مثل الصيام وقيام الليل بيسر وسهولة، قال رسول الله -ﷺ-: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» - رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني-، قال الخطابي: «الغنيمة الباردة» أي السهلة؛ ولأنّ حرة العطش لا تنال الصائم فيه.

الدعاء

- ومن أهم هذه العبادات أيضاً: الدعاء؛ لأن وقت نزول المطر من أوقات إجابة الدعاء، قال -ﷺ-: «ثنتان ما تردان:الدعاء عند النداء وتحت المطر» - صحيح الجامع الصغير.

الأذكار الخاصة

- ومنها أيضاً الأذكار الخاصة بفصل الشتاء، مثل الذكر عند هبوب الرياح، وعند سماع صوت الرعد، عند نزول المطر: عن عائشة -رضي الله- عنها أنّ النبي ﷺ إذا نزل المطر قال: «اللّهم صيبا (المطر الذي يجري ماؤه) هنيئًا» - رواه أبو داود بسند قوي-، وعند اشتداد المطر والخوف من تبعاته: «اللّهم حوالَيْنا لا علينا» - رواه البخاري.

يسر الدين وسماحته

- ومما يتعلق بالعبادات تعريف الأبناء يسر الدين وسماحة الشريعة من خلال الرخص التي شرعها الله -تعالى- كالمسح على الخفين، والجمع عند المطر وجواز تسخين الماء للوضوء والغسل، فالحمد لله على تخفيفه وتيسيره.

التكافل

- تربية الأبناء وتدريبهم عمليا على التكافل: وذلك من خلال الإحساس بالفقراء الذين لا يجدون ما يدفعون به عن أنفسهم برد الشتاء، فيدعو المربي أبناءه إلى التصدق بما زاد عن احتياجاتهم من الملابس الثقيلة، والأحذية، والأغطية، ويدربهم على إعداد هذه الأشياء وتجميعها وتوصيلها إلى مستحقيها عملياً، وأثناء ذلك يحدثهم بما ورد في الحث على التكافل بين المسلمين، قال -تعالى-: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

وهكذا.. أعزائي المربين

مع كل مرة ينزل فيها المطر يكون للمربي فيها مشهد تربوي متجدد مع أبنائه، ومختلف وثري بقدر اختلاف تفصيل فصل الشتاء وثرائه؛ فيثمر ذلك في قلوب الأبناء مع آبائهم عبودية بعد عبودية وصلةَ بالله -تعالى- لا تنقطع..



فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله

لعن الوالدين من كبائر الذنوب

■ ما حكم مَن لعن الوالدين من باب الغضب، أو من لعنهما عمداً؟ وهل لذلك اللعن سواء عمداً أم غيره كفارة أم توبة؟ وماذا يصنع اللاعن؟

● لعن الوالدين من كبائر الذنوب؛ فإنه ثبت عن النبي -ﷺ- أنه لعن من لعن والديه، وسواء كان ذلك اللعن مباشراً أم تسبباً؛ لأن النبي -ﷺ- قيل له: وهل يلعن الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه، ويسب أمه فيسب أمه»؛ فلعن الوالدين سواء كان مباشرة أم تسبباً من كبائر الذنوب، ولا فرق بين أن يحدث ذلك دون سبب أو بسبب الغضب، إلا أنه في مسألة الغضب إذا وصل الإنسان من الغضب إلى حال لا يشعر ما يقول؛ فإنه في تلك الحال لا جناح عليه؛ لأنه لا يعقل ما يقول، والله يجازي العبد بما يعقل لا بما لا يعقل، إلا أنه ينبغي للإنسان عندما يكون شديد الغضب، أو سريع الغضب أن يستعمل الأسباب التي تزيل ذلك أو تخففه؛ لأن رجلاً سأل الرسول -ﷺ- أن يوصيه بوصية؛ فقال: «لا تغضب»؛ فردد مراراً؛ فقال: «لا تغضب»، إذا شعر بالغضب؛ فإنه يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويتوضأ؛ فإن ذلك من أسباب زوال الغضب، وأيضاً من أسباب إبعاد نتائج الغضب أن يبتعد الإنسان وينسحب عن خصمه حتى لا يقع شيء محذور.

تربية الأبناء من أعظم المسؤوليات

■ بعض الآباء ينشغل في أعماله، وقد لا يتمكن من سؤال أبنائه عن مستواهم الدراسي أو من يصحبون؛ فهل هذا تضييع لحقوقهم؟

● قوله إنه ينشغل بأعماله نقول: من أكبر أعماله أبناؤه وبناته، ومسؤوليتهم أعظم من مسؤولية تجارته، ولنسأل ماذا يريد من تجارته؟ إنه لا يريد منها إلا أن ينفق على نفسه وأهله، وهذا غذاء البدن، وأهم منه غذاء القلب، غذاء الروح، زرع الإيمان والعمل الصالح في نفوس الأبناء والبنات، ثم ليعلم أن النبيﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»؛ فالولد الصالح ينفع أباه وأمه في الحياة والممات؛ فهو أولى من مراعاة المال؛ فالمال إن كان صاحبه ذا غنى كثير أمكنه أن يجعل فيه عاملين يعملون بالتجارة، وإن كان دون ذلك؛ فإن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣).

مسح المرأة للرأس

■ هل مسح الرأس للمرأة مثل الرجل؟ وماذا تفعل إذا كان شعرها طويلاً؟ هل تمسحه إلى نهايته وترجع، أم يكفي مسحه إلى حد رأس الرجل؟

● يجب أن نعلم أن الأحكام الشرعية تتفق فيها النساء مع الرجال والرجال مع النساء، إلا ما قام الدليل على التفريق بينهما، وعلى هذا؛ فالمرأة يشرع لها في مسح الرأس ما يشرع للرجل؛ فتضع يديها على مقدم الرأس، ثم تردهما إلى قفاه، ثم تردهما إلى المحل الذي بدأت منه، كما يصنع الرجل، ولا يلزمها أن تمسح إلى أسفل الرأس، بل تمسح إلى حد منابت الرأس، وكذلك الرجل إذا كان له شعر طويل إلى الكتفين؛ فإنه لا يلزمه أن يمسح إلا على قدر منابت الشعر فقط.

كيف يجعل المدرس من نفسه شخصية مهيبة؟

■ بعض المدرسين يفهم أن الهيبة في الشدة والضرب وغيره؛ فيهابه الطلاب لكن مع الكراهة له؛ فلا يأخذون عنه علماً بسبب كرههم له؛ فما رأي فضيلتكم وما توجيهكم؟

● ينبغي للإنسان أن يتخذ لنفسه شخصيةً مهيبة، لا أن يكون شديداً؛ لأن الذي يريد أن يكون مهيباً في الشدة والضرب لا يكون مهيباً، يستغل الطلاب غفلته في أي لحظة ويقومون باللعب والفوضى، لكن إذا كان شخصية بمعنى: أنه يري الطلاب أنه رجل جدي لا يريد اللعب؛ فإنه يكفي من ذلك أن يلتفت إليهم بغضب ويصمت، -هكذا- كأنه يريد أن يستنكر ما هم عليه؛ فيكون بهذا قد قوى شخصيته.

أما الضرب؛ فالضرب كما نعلم ممنوع، إلا ما دعت الضرورة إليه، وليس هو الذي يجعل الإنسان مهيباً، وإنما يجعل الإنسان مخوفاً، ولا يكون محبوباً عند الناس، لكن الهيبة شيء، والرهبة شيء آخر.

إعطاء الإجازة المرضية لمن لا يستحقها

■ **هل يجوز للطبيب أن يعطي أحداً من الناس إجازة مرضية ولاسيما للموظفين، عندما يكون هذا الشخص لا يحتاج حقيقة إلى هذه الإجازة؟**

● في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس؛ فقال: «وقول الزور وشهادة الزور»، ولا شك أن الطبيب إذا أعطى شخصاً إجازة مرضية وهو ليس بمريض، لاشك أنه قال الزور وشهد شهادة الزور، وأنه آثم وأتى كبيرة من أكبر الكبائر، وكذلك الذي أخذ هذه الإجازة آثم وكاذب على الجهات المسؤولة وآكل للمال بالباطل؛ فإن الراتب الذي يقابل هذه الإجازة أخذه بغير حق، وكذلك إذا أعطاه أكثر مما يحتاج، مثل أن يحتاج إلى ثلاثة أيام إجازة مرضية ويعطيه أربعة؛ فإن هذا حرام من أكبر الكبائر.

الشكوى من الفراغ

■ **الكثير من الناس يشكون من الملل من كثرة الفراغ؛ فبماذا تنصحون هؤلاء مأجورين؟**

● لا شك أن الملل قاتل للنفس، وإفساد للبدن، وجلب للهموم والغموم، ومن أكبر أسبابه ما يتسابق الناس عليه اليوم من جلب الخادمات في البيوت؛ حتى أصبحت الربات في بيوتهم ليس لهن شغل في البيت؛ فتجد المرأة دائماً في همّ، تجلس في إحدى ربع البيت، يعني زوايا البيت، ليس لها إلا الهم، أو أن تخرج تتزكى في الأسواق، أو إلى الجيران؛ فتتعبهم وتذمهم، ولو سلم الناس من هؤلاء الخدم، وصارت المرأة هي التي تخدم في بيتها، كما هو شان نساء الصحابة في عهد الصحابة، وكما هو شأن الناس إلى يومنا هذا، لكان هذا خيراً وأولى، وفيه حفاظ المرء على ماله، وحفاظ أيضاً على عرضه، وحفاظ أهله من الخوار الفكري والبدني؛ ولهذا وبهذه المناسبة أنصح إخواني المسلمين عدم جلب الخدم إلا للضرورة القصوى، التي لا يمكن دفعها إلا بذلك، أما إذا كان الحال على هذا زيادة الترف والتنعم؛ فإن هذا يجر بلاءً كثيراً، وتحصل به المفاسد إلا أن يشاء الله، ولاسيما إذا جاؤوا بامرأة كافرة؛ فإن ذلك أقبح؛ لأن المرأة الكافرة ربما يكون هناك أطفال يغترون بها، وربما يكون هناك أطفال بلغوا سن التمييز؛ فيتساءلون لماذا هذه لا تصلي، ولا تتوضأ، ولا تصوم؟ ويحصل عندهم، ويحصل في نفوسهم تهوين الدين والعمل به، ولاسيما إذا لم يكن معها محرم؛ فإن الخطر يكون أعظم وأكبر، والمهم أن هذه المشكلة في الواقع لا يمكنها حلها إلا أن يتقلص الطلب على هؤلاء الخدم، ويرجع الناس إلى حالهم الأولى، إلا عند الضرورة القصوى، التي لابد من وجود الخادم فيها.

منكرات تقع نهاية كل عام

■ **في مثل هذا الوقت من كل عام ميلادي تكثر أصناف الحلوى والكيك ونحوها، ويرسم على بعضها: كل عام وأنتم بخير، ولربما رسم الصليب؛ فهل يجوز لأصحاب المخابز أن يفعلوا ذلك، علماً أنه موسم أرباح لهم؟**

● هذا حرام، وقد يوصل بصاحبه إلى الكفر؛ لأن إشاعة التهنئة بعيد الكفار يعّد من الرضا بشرائعهم ودينهم، والرضا بالكفر كفر، وقد نص على ذلك ابن القيم -رحمه الله- في كتابه أحكام أهل الذمة، وأنه لا يجوز إظهار أي شعيرة من شعائر الكفر في مناسباتها، ولا يحل للخبازين أن يفعلوا ذلك، أي: أن يرسموا صليبا أو كل عام وأنتم بخير أو ما أشبه ذلك، سبحان الله! نهنئ الناس بعيد كفار لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ثم نهنئ بعيد من؟ بعيد نصارى هتكوا أعراض المسلمين، واستباحوا دماءهم، واحتلوا ديارهم، ولو مكن لهم لقضوا على الإسلام كله، كيف نهنئ الناس بعيد هؤلاء؟! والله لو كان عيداً وطنياً لا شرعياً؛ فلا يستحقون أن يهنئوا به؛ فكيف وهو عيد شرعي عندهم من شعائر دينهم، والرضا بشعائر الكفر كفر؛ لأنه رضا بالكفر، وخطر على القلوب، خطر أن يزيغ القلب -والعياذ بالله- ثم لا يميز الإنسان بين عدو الله وولي الله؛ فأرى أن هذا حرام، وأنه يجب علينا مقاطعة هذه الأفران التي تفعل مثلما قال السائل، وكذلك يجب على أصحاب المكتبات أن يمتنعوا من بيع هذه الكروت التي فيها التهنئة بعيد كفري لا يرضي الله ولا رسوله ولا المؤمنين.

أوراق صحفية

إذا ضُيِّعت الأمانة

بقلم: سالم الناشي

رئيس تحرير مجلة الفرقان

لندن ٢٦/١٢/٢٠١٨

● يقصد بالأمانة حقوق الله وفرائضه؛ فعلى المؤمن أن يتبع ما أحل الله وينتهي عما حرم، وكذلك يقصد بها حقوق الناس وحاجاتهم، وقد عرض الله -جل وعلا- الأمانة على السموات والأرض والجبال فخافوا أن يتحملوا هذه الأمانة، وحملها الإنسان! قال -تعالى-: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (الأحزاب:٧٢).

● فيجب على الإنسان أداء الأمانة مع الخالق؛ فيؤدي الفرائض كما شرع -سبحانه-، ويتجنب محارمه، تعظيماً لله وخوفاً منه، قال -ﷺ-: «لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له، ولا دينَ لِمَن لا عهدَ له». ويؤدي الأمانة مع الخلق فيما يستحقونه منه من حقوق وديون، وحسن تعامل بعيدا عن الغش والخداع والاحتكار؛ ولهذا قال -ﷺ- : «أدِّ الأمانَةَ إلى مَن ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خانَكَ».

● يَحكي أبو ذَرٍّ -رضي الله عنه- أنَّه قال للنبيِّ -ﷺ-: «ألَا تَستَعْمِلُني؟» أي: ألَا تَجعَلُني عامِلًا؟ فضرَب -ﷺ- بيَدِه على مَنْكِبِه، أي: ضَربَ لُطف وشَفَقة، ثُمَّ قال: «يا أبا ذَرٍّ، إنَّك ضَعيفٌ»، أي: عن تحمُّل العَمَل، «وإنَّها (أي: الإمارَة) أمَانَةٌ»، يعني: ومُراعَاةُ الأمانة - لكَوْنِها ثقيلةً صعبةً - لا يَخرُج عن عُهدَتِها إلَّا كلُّ قَويٍّ؛ «وإنَّها (أي: الإمارَة) يومَ القيامة خِزْيٌ ونَدامَةٌ»، وأمَّا الخِزْيُ والنَّدامةُ فهو في حقِّ مَن لم يكن أهلًا لها، أو كان أهلًا ولم يَعدل فيها؛ فيُخزيه الله -تعالى- يومَ القيامة ويَفضَحُه، ويَندَمُ على ما فرَّط، «إلَّا مَن أخَذها بحقِّها وأدَّى الذي عليه فيها»، وأمَّا من كان أهلًا للولايَة وعَدَل فيها، فله فضلٌ عظيمٌ.

● يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز- رحمه الله - (١٣٣٠هـ - ١٩١٠/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩): «فالواجب على الموظف أن يُؤدي الأمانة بصدق وإخلاص وعناية وحفظ للوقت، حتى يُبرئ ذمته، ويُرضي ربَّه، وينصح لدولته وحكومته في هذا الأمر، أو للشركة التي هو فيها، أو لمَن وظَّفه، هذا هو الواجب على الموظف: أن يتَّقي الله، وأن يُؤدي الأمانة بغاية الإتقان، وغاية النصح، يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، ويعمل بقوله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء:٥٨)».

● ويتأكد الحرص على أداء الأمانة في حق القيادات العليا؛ لما لهم من صلاحيات واسعة، وأموال كبيرة تحت تصرفهم، وقرارات مهمة لها آثار وتبعات؛ فالأمانة من أعظم خصال الإيمان، قال الله -عز وجل- واصفا المؤمنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون:٨)، وضد الأمانة الخيانة، وهي من خصال أهل النفاق، قال -سبحانه-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال:٢٧). ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِنَ خان».

● لذا فيجب على كل أحد أن يجعل مراقبة الله له نصب عينيه؛ فيؤدي عمله على أكمل وجه، وبأفضل سبيل؛ فإن عجز عن هذا فلا يلجأ للخيانة، بل يترك مكانه لمن هو أهل له. قال -ﷺ- : «إذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر السَّاعة». قال: «كيف إضاعتُها يا رسولَ الله؟» قال: «إذا أُسند الأمرُ إلى غير أهله فانتظر السَّاعةَ».